أرواح مغتربة

الكتاب: أرواح مغتربة

تأليف: كرلس عجيب

الإخراج الداخلي: القسم الفني بالدار

تدقيق لغوي: قسم المراجعة والتدقيق اللغوي بالدار

تصميم الغلاف: مريم رجائي

الطبعة الأولى: 2022

رقم الإيداع: 2021/30181

الترقيم الدولي: 0- 06- 6960-977-978

دار إضافة
للنشر والتوزيع

ج.م.ع
الإسكندرية

مزاج الكتب
للنشر والتوزيع

ج.م.ع
الإسكندرية
Email: mazagelkotob@gmail.com
Mobile: 01024541339

رواية

أرواح مغتربة

كرلس عجيب

إهداء

إلى من حملوا همي دوماً.. إلى من فرحوا بنجاحاتي الصغيرة.. إلى من رأوا فيّ ما لم أراه في نفسي.. إلى من شجعوني دوماً لتخطي تلك العقبات.. إلى إخوتي وأمي.. رعاكم الله..

***

إهـداء خـاص

رُغم أن الكثير حاول مراجعتي عن كتابة ذلك الإهداء إلا أني لا أجد سبباً لكي لا أكتبه.. فلسبب ما قد اخترت قراءة هذا الكتاب من بين جميع الكتب على الأرفف.. لذلك أهديك هذا الكتاب علك تجد فيه المتعة التي تبحث عنها.. لك أيها القارئ.. شكراً

كما أهديه خصيصاً لمن كانت معي طوال تلك السنوات الصعبة إلى من كانت هنا طوال الطريق، حتى كللنا نجاحنا سوياً.. إلى صاحبة الغلاف المتميز.. إليكِ يا مريم.. كُنتي أول القراء وستظلين أولهم دائماً..

***

- حــادثة -

نهار واضح، تستطيع أن تشتم رائحة الربيع في الأفق.. طريق شاسع وجبال شاهقة تستطيع أن ترى مياه البحر، وهي تلمع على جانب سيارة أحمد ومريم، وهما ذاهبان في رحلة علاج زواجهما حسب كلام المستشار النفسي اللذان يتابعانه.. كم يكره الرحلات الاضطرارية.. ألا يستطيعان الانفصال فحسب، فها هو ينظر لها بجانبه لا تكف عن الحديث عن أحد تلك الأمور البلاء، ولا يستطيع أن ينتبه لكلمة مما تقول.. تجلس مريم في السيارة، وهي تنظر لأحمد تحدثه بحدة لسبب ما.. وتجلس في الخلف (تقى) تلك النتيجة الرائعة لما كان يسمى منذ زمن بالحب بينهما.. يرتفع صوت مريم قائلة:

- ومامتك مش كل ما تيجي لازم تعلمني أربي بنتي ازاي.. أنا كبيرة وأعرف أربي بنتي كويس أوي.. ومسمحش لحد يتدخل في حياتي، ولا يتدخل في طريقة تربية بنتي.

ينظر أحمد في مرآة السيارة ليرى (تقى) في الخلف تنظر للـ (تابلت) بشغف، وهي ترتدي تلك السماعات الضخمة التي تغطي أذنيها.. ترتفع عينيها لتلتقي بعين أبيها في المرآة فيبستم له لترد بدورها الابتسامة، وتحرك عينيها لينفجر أحمد ضاحكاً فيثور غضب مريم أكثر لتصرخ قائلة:

- متاخدش كلامي بهزار لو سمحت، وتريقة، ومتستخفش من طريقة الحوار بتاعتي.. أنا بحاول أوصل معاك لحل.. ماما فعلاً زعلت آخر مرة و..

= بس بقى بس، إنتي إيه مبتزهقيش، عمالة ترغي بقالك نص ساعة في حوار تافه زيك، وأنا ساكت.. سكوتي ده كله مخلاكيش تحسي إني مش عايز اتناقش.. إني مش قادر اتناقش.. إحنا في رحلة عشان نصلح الزفت علاقتنا.. بس بطريقتك دي ملهاش لازمة خالص السفرية الزفت دي، ونرجع أحسن لأني فعلا مش هستحمل ربع ساعة تاني في كلام عن أمك أو أمي..

يلتفت أحمد لها ليجدها تبكي.. فيغمض عينيه بغضب للحظة ليتفاجئ بتلك السيارة أمامه فينقض على المقود ليتفاداها فيخرج عن الطريق، وتسقط السيارة ليسقط جسده في البحر، ويشعر ببرودة المياه.. لا داعي من المقاومة إن المياه كفيلة بتخليص جسدك الثائر من هذا العبث.. ولكنه يتذكر (تقى) ليعود ويقاوم.. يقاوم أحمد المياه بكل ما تبقى له من قوة.. إنه هدوء الموت الذي يتخلل جسدك ليهبك راحة لم تشعر بها من قبل.. تمر لحظات حسب ظنه قبل أن يشعر باثنين يحملانه سائرين ببطء.. يعود ليفتح عينيه ويتمتم قائلاً:

تقى بنتي.. بنتي اسمها تقى.. فين تقى.. تقى فين

إنه حتماً يعاني أثر الصدمة، والسقوط.. ربما عقله ليس بخير أيضاً.. لا يرى سوى أقدام حامليه.. يرتدون الأبيض.. لابد أنهم ضمن المسعفين.. حتماً يأخذونه على المشفى ليتم العلاج.. يريد أن ينهض لكن جسده يمنعه.. يرى (تقى) من بعيد تقف بجوار السيارة يصرخ بما أوتي من قوة (تقى) لكن لا تبدو أنها تسمعه.. يترك جسده ليرتاح وترتاح معها أفكاره..

***

- انتظـار -

ظلام دامس، لا يعرف أحد مصدر ذلك الضوء في الغرفة، ولكنه يكفي لكي ترى أوجه من حولك.. ربما هو نور قادم من مكان آخر.. لا يهم.. ينظر (باسم) إلى الرجل الكبير (سعيد) بتهكم ليصرخ بوجهه قائلاً:

- إنت عارف إنك لو ساعدتني هنزود فرص خروجنا من المكان ده.

= وأنا قولتلك قبل كده يابني مفيش فايدة.. مفيش خروج من هنا مهما حاولت.

- تاني هتقولي مفيش فايدة، وإني بضيع وقت وخلاص.

= لا يابني إنت مبتضيعش وقت.. وإحنا حيلتنا ايه غير الوقت.. بس انا عارف كويس إنه مفيش خروج من هنا

يهم باسم بالرد عليه، ولكنه ينصت جيداً ليسمع خطوات أحدهم قادمة خلف الباب الوحيد للغرفة، يترك باسم ما في يده من الخوف ليجلس خائفاً في أحد الزوايا، حتى سعيد برغم كبر سنه تراه يركض خوفاً ليجلس خلف أحد المقاعد منكسراً.. يدخل اثنان يرتدان الأبيض ليتركا رجلاً من الواضح أنه فاقد للوعي.. يتركانه فيرحلان في هدوء.. يقترب باسم وسعيد بحرص من الرجل ليهمس باسم لسعيد قائلاً:

- إحنا بقالنا كتير أوي هنا أول مرة أشوفهم جايبين حد جديد.

= مهو لما جابوك كنت عامل زيه كده.. حاسب عشان أكيد هيقوم مخضوض زي ما انت عملت.

يهب ناهضاً (ياسر) من نومه ليتفاجئ بوجود باسم وسعيد ينظرون له، وكأنهم لأول مرة يروا إنسان حي.. يبتعد في فزع ليسند برأسه على باب الغرفة.. تدور عينيه في الغرفة حتى يستطيع أن يتبين أين هو، ولكن لا

جدوى فكل ما يراه هو ضوء خافت ينبع من مكان ما في الغرفة.. وأربع مقاعد، وهناك في زاوية ما في الغرفة يوجد سرير ما ولا يرى شيء آخر.. غرفة شاسعة ولا يوجد بها شيء آخر.. حتما إنه هنا لسبب ما.

- اهدا يابني اهدا.. يحاول سعيد اطمئنانه مبتسماً.

* اهدا ايه.. انتو مين وايه اللي جابني هنا.

= إحنا زينا زيك.. مرميين هنا بقالنا سنين ومش عارفين نخرج.. يقولها باسم يائساً.

يتحسس ياسر جسده مطمئناً على نفسه ولا يجد أي شيء خارج عن المألوف أو قطع أو ألم بأي مكان..

* مش عارفين تخرجوا إزاي.. مخطوفين يعني

- والله يابني علمي علمك...

يعود باسم ليمسك ما كان بيده منذ قليل ليبدأ الطرق على الحائط مرة أخرى.

- إحنا يابني بقالنا كتير هنا لا حد بيسأل علينا، ولا حد بيكلمنا منهم.. لو خاطفينا أكيد كانوا كلموا أهالينا اللي الله أعلم اذا كانوا عايشين ولا ميتين

* قصدك إيه؟ أمال هما جابونا هنا ليه؟ بيعملوا علينا تجارب مثلا؟

- بقولك مبيكلموناش.. يبقى هيعملوا علينا تجارب إزاي بس.. هما يابني بيدخلوا كل يوم يسيبوا الأكل اللي يكفينا طول اليوم، والمياه ويمشوا.

* طب والأستاذ ده بيعمل ايه؟

- أهو بيحاول يخرج من هنا.. مش راضي يسمع كلامي إنه مفيش فايدة..

= إنت اللي راجل يائس ومش عايز تساعد.. وعايزنا نموت هنا أنا ساعات بحس إنك تبعهم مش تبعنا.

* اهدوا يا جماعة إحنا لازم نقدر الموقف صح.. إحنا مخطوفين وبناء على كلامكم اللي خاطفينكم دول مش عايزين أي حاجة مننا غير إنهم حابسينكم أو حابسينا بما اني بقيت معاكم.. يعني لا فيه فلوس في الموضوع، ولا هدف من ورا حبستنا دي.. محاولتوش تكلموهم طيب وتفهموا عايزين ايه

= ياما حاولنا ومحدش رد علينا.. لدرجة إني.. يقولها باسم وهو ينظر في الأرض خجلاً.

- الناس اللي هنا يابني غير ما انت فاكر خالص.

* إزاي يعني.. فضائيين مثلاً.

- والله يابني مش بعيدة.. كل اللي أعرفه إنهم مش زينا خالص.. إنت مشوفتش هما جسمهم عامل إزاي ولا وشوشهم.

* لا الحقيقة أنا مشوفتش شكل أي حد جابني هنا.. طب بما إننا في المشكلة دي سوا فاحنا لازم نساعد بعض.. متعرفناش، أنا ياسر

يقف سعيد خوفاً ويترك باسم ما بيده ليصرخ بدهشة ياسر..

* آه.. اسمي ياسر مالكم خوفتوا ليه؟

- إنت فاكر اسمك ازاي يابني؟

* فاكر اسمي ازاي يعني ايه.. قصدك إيه؟

= قصده إننا من ساعة ما دخلنا المكان ده وإحنا مش فاكرين أي حاجة عن نفسنا ولا هو ولا أنا.. وكأنه شريط فاضي ومش متسجل عليه غير الأوضة اللي احنا فيها دي.. مهما حاولنا نفتكر مبنعرفش.. طب قولي انت كنت شغال ايه؟

* أنا.. أنا كنت شغال.. أنا.. أنا مش فاكر أي حاجة غير اسمي..

- حاول تفتكر يابني أكيد هتعرف.

= فيه دبلة في إيدك.. أكيد كنت متجوز.
* أيوة أنا.. تنهال دموع ياسر ليبتعد عنهم مرتعباً ليهمس بصوت خافت.
* أنا مش فاكر..

***

- اقرأ الخبر -

شمس ساطعة، ولكن نسمات الهواء العليل تغطي كل الملامح لحرارتها، إنه الربيع، اليوم يبدو مناسب لكي تمارس رياضتك المفضلة، أو أن تجلس في الجزء الخاص بك لتتأمل جمال الطبيعة، تظهر (نرمين) وهي ممسكة بـ (الساندوتش) لتلتهمه كأنها لم تذق طعاماً منذ أسابيع، نرمين.. فتاة عادية، ولكنها تملك ذلك النوع من الجاذبية الذي لا يجعلك تكف عن النظر إليها ربما خصلات شعرها التي تتمايل يميناً ويساراً مع الهواء هي السبب.. أو ربما نظارتها التي تضيف جمالاً لها فهي ليست على قدر كبير من الجمال، ولكنها حيثما تذهب تكن محط أنظار الجميع وعلى الرغم من أن ذلك يبث الضيق في نفسها، ولكنه لطالما كان سبباً في تحقيق مرادها.... فها هي تجري مسرعة لتلحق بائع الجرائد لترى أول مقال يُكتب لها في الجريدة.. تمسك بالجريدة لتبتسم ابتسامة كمن ملك الدنيا.. بقلم نرمين الصالحي ترددها في نفسها وتعيد قراءة تلك المقالة، وكأنها لم تكتبها بنفسها.. بجانب مقالة نرمين.. ترى مانشيت صغير وصورة (أحمد).. اختفاء جثة شاب بعد حادث في طريق الغردقة الصحراوي.. تلمح عيني (نرمين) صورة الشاب (أحمد) لتحاول تذكر ما إذا رأته آخر مرة.. تقرأ الخبر على عجالة من أمرها.. فترى بين السطور " أحمد وزوجته مريم يتعرضا لحادث أليم نتيجة لتهور سائقي سيارات النقل.. كان أحمد ومريم في طريقهما لقضاء أجازه أسرية سعيدة مع ابنتهم (تقى)، ولكن يشاء القدر أن تقضي ابنتهم حياتها بلا حنان الأب.. ولكن هل مات (أحمد) بالفعل؟؟ فـ ابنته (تقى) تقسم أنها قد رأت أناس يحملونه ويذهبون به

بعيداً وظنت أنهم من المسعفين؟ فهل تم اختطافه؟!.. نسأل الله أن تظهر الحقيقة سريعاً شفاءً لقلب تلك الطفلة الصغيرة، وزوجته التي دمرها ذاك الحادث المؤسف.. ولكن يجب أن نقف ونسأل أنفسنا إلى متى سوف نتحمل تهور هؤلاء السائقين.... إلخ تجري أعين نرمين حتى آخر المقال لترى أنه بقلم (بثينة عاطف).. تلك البغيضة التي تكرهها كرهاً جماً فكم كانت غيورة لا تطاق، وكم كانت تحاول إخفاء موهبة نرمين.. كان قلب نرمين مثل قلب الأطفال فهي لم تعرف يوماً المنافقة أو أن تظهر عكس ما بداخلها فدائماً ما كانت تلك ترى ذلك نفاقاً، وليس (ذوق) على حد تعبيرهم.. تطرد نرمين تلك الأفكار من عقلها لتعود بنظرها إلى اسمها المكتوب أسفل المقالة لتعود ابتسامتها إليها مرة أخرى لتردد في نفسها..

- كان نفسي يا بابا أوي تكون عايش، وتشوف اسم بنتك، وهو بيتكتب على المقالة.. عارفة إنك أكيد كنت هتكون فخور بيا.. وحشتني أوي.. كان فعلاً نفسي تبقى جنبي هنا دلوقتي، وتعرف إن كل النجاح اللي انا فيه ده بسببك.. وحشتني أوي بجد.

تغرق نرمين في بحر ذكرياتها لتتذكر أبيها، وكيف كان يشجعها دائماً على القراءة.. كيف أهداها أول كتاب مذكرات لتكتب به أحداث حياتها.. كيف كان يدافع عنها وسط الجميع.. كان قد كتب ملصق " الصحافية نرمين " على باب غرفتها.. لطالما ظن أن الصحافة هي مهنة حرة تستطيع بها نرمين أن تبين مهاراتها الشخصية.. يقاطع حبل أفكارها رنين الهاتف لتنظر له مبتسمة وترد..

- إزيك يا حسام.

= إزيك يا باش كاتبة.

- باش كاتبة مرة واحدة.

= الله وإحنا أقل منها ولا إيه.. مبروك يا نرمين على المقالة عقبال المقالة رقم ١٠٠٠.

- يابني إحنا لسه في البدايات.. ومبروك إنت كمان يا بيه على الصورة الحلوة في مقالة الست هانم.

= الله إحنا هنبتدي غيرة ولا إيه.. ثم دي صورة قديمة للراجل، ويادوب عملنا عليها تعديلات.. يعني يعتبر مش شغلي خالص.

- لا يا سيدي لا غيرة ولا حاجة.

= يا نرمين احنا في مناسبة حلوة متنكديش بقى ابوس ايدك.. ثم انتي عارفة الشغل شغل.

- لا صدقني مفيش نكد ولا حاجة.

= طب ها بقى تعزميني فين بقى النهاردة عشان نحتفل

- يا سلام يعني هو أنا كمان اللي هعزمك

يضحك حسام.. ويعود ليقول..

= يا باشا إنتي تؤمريني اختاري المكان بس، وملكيش دعوة.

- مش عارفة لما أجيلك نفكر.

= طب يلا أنا مستنيكي في الجرنان اهو.

- ماشي سلام.

= سلام.

***

- محاولة هروب -

* أمال لو انتوا مش فاكرين أساميكم بتندهوا بعض إزاي..

= عم سعيد اللي اقترح عليا الأسماء دي.. وأنا طبعاً وافقت.

- إحنا يابني قاعدين هنا بقالنا كتير.. وعشان نفكر نفسنا إن فيه حاجة حلوة برآ تستاهل.. مكانش في دماغي غير الفرحة والضحك.. فسميته هو باسم من الابتسامة.. وهو سماني سعيد.

* حلوة دي.

يعود باسم ليمسك بما أشبه بمطرقته، ويعود للطرق بها على الحائط..

* فيه حاجة غلط.. أي نظام في الدنيا لازم يكون فيه ثغرة فيه غلطة وإحنا لازم نستغل الغلطة دي بكل ما نقدر.

= قصدك إيه

* أنا لاحظت إنهم كل ما بيدخلوا علينا بيدخلوا اتنين مش أكتر واحد بيقف حراسة على الباب، وواحد بيدخل بالأكل والشرب لحد جوا.. واللي لاحظته كمان إن مفيش ولا واحد فيهم معاه سلاح أو حاجة تحميهم.

- أيوة يابني ده صح.. بس..

* دي فرصتنا.. أكيد اللي بيدخل ده معاه المفاتيح على الأقل بتاعة المكان ده.. إحنا هنضربه، وهنهرب من هنا.

= يابني نضرب مين إنت مشوفتش أجسامهم عاملة إزاي.

- يابني متوديناش في داهية دول ممكن..

* هيعملوا إيه يا عم سعيد أكتر من اللي عاملينه فينا.. إنت لسه بتقول إنك بقالك هنا اكتر من سنة هنا عايز تفضل أكتر من كده ايه.. أنا بقالي هنا شهر يا عم سعيد، وحاسس إني بتخنق بالبطيء... أنا لازم على الأقل

أفهم إيه اللي بيحصل.. ولو سمعتوا كلامي محدش فينا هيحصله أي حاجة.

= أنا معاك يا ياسر.

ينظر ياسر لعم سعيد..

- وأنا يابني معاكم لو هنخرج من هنا.

* بصوا.. هما متعودين لما ييجو بيفتحو الباب نص فتحة، وواحد بيقف بيسد الباب، والتاني بيدخل يسيب الأكل والشرب.. هتستخبى إنت يا عم سعيد ورا الكرسي زي كل مرة، كأنك خايف.. انا هستنى ورا الباب، وبالحديدة اللي في ايدي هنزل بيها على دماغ اللي سادد الباب.. تكونوا انتوا في نفس اللحظة مكتفين اللي دخل بالأكل لجوا.. نخلي بالنا يا جماعة الثانية هتفرق.. جاهز يا عم سعيد.

- مش عارف.

= لا يا عم سعيد دي مفيهاش مش عارف.. مش انت نفسك تخرج من هنا وتبطل الحبسة دي.. يبقى لازم تبقى جاهز.

- جاهز يابني جاهز.

= وأنا كمان يا ياسر جاهز.

* يبقى اتفقنا، على حسب خبرتي هما قدامهم، وقت قليل جداً عشان يبقوا هنا، يلا كل واحد ياخد مكانه.

يقترب ياسر من الإضاءة الآتية من أعلى الغرفة لينزع عنه قميصه.. ولأول مرة يستطيع عم سعيد أن يميز ملامح ياسر فيرى جسد رياضي.. عضلات بارزة.. يظن عم سعيد أنه حتماً كان يمارس رياضة ما أو يعمل بمجال الحراسة ليمتلك جسد كهذا.. ينظر لأعلى ليرى تلك الندبات على وجهه ليتعجب كيف لم تزل آثارها بعد مضي هذا الوقت هنا.. يلتف ياسر إلى الوراء ليندهش عم سعيد أكثر، ولا يستطيع كتمان اندهاشه فيصدر فمه بعض الآهات..

- إيه يا راجل يا عجوز أول مرة تشوف واحد قالع قميصه.. مالك مبحلق في الراجل كده ليه؟

= ها.. لا يابني مفيش.. مفيش

* ركزوا يا جماعة دي فرصتنا الوحيدة عشان نخرج من هنا.. لو مسكونا أو عملنا حاجة غلط أكيد هيزودوا احتياطاتهم، ومش هنخرج من هنا أبداً.

- متقلقش.. إحنا معاك.

يسكتهم ياسر ليستمع إلى خطوات أحدهم قادمة.. فيشير إليهم ليتخذ كلاً منهم مكانه المتفق عليه.. فيذهب ياسر خلف الباب ممسكاً بتلك الأداة الحادة.. ليختبئ عم سعيد خلف الكرسي كما قالوا له.. ويذهب باسم عند ركن الغرفة ممسكاً هو الآخر بالأداة التي يطرق بها.. تقترب صوت الأقدام لتقف فجأة.. يعتصر الخوف قلب عم سعيد فيتشبث بالكرسي أكثر.. وكمشهد درامي في أحد المسلسلات ترى أعين عم سعيد تلك اللحظات تسير ببطء شديد.. فيرى الباب يُفتح بهدوء ليدخل الفرد الأول حاملاً بيده أطباق الطعام فتتابعه عيناه، حتى يصل إلى الطاولة ليضعها.. ويلتفت لينظر إلى الفرد الآخر الذي يقف أمام الباب وكأنه باب آخر.. يقترب ياسر بحذر رافعاً الأداة التي معه في الهواء ليهوى بها على رأس الرجل، ولكنه لسبب ما ينظر مندهشاً باتجاه باسم.. يلتفت عم سعيد مرة أخرى ليرى باسم وبيده تلك الحديدة على رأس ذلك الشخص، ولسبب ما لم يصاب بأي أذى.. بل يضع الأكل بكل هدوء ويكاد يجزم عم سعيد بأن رأس ذلك الشخص التفت وأصبح باسم يواجهه وجهاً لوجه دون أن يتحرك ليصدر ذلك الصوت الذي لا يستطيع ثلاثتهم أن يتحملوه.. كصوت صراخ ألف طفل رضيع معاً، وتضاء الغرفة بأكملها ليسقطوا جميعاً أرضا...

***

- تحقيق -

تجلس (نرمين) على مكتبها لتنظر لتلك المقالة بابتسامة فخر.. تميل عينيها إلى تلك الصورة لـ (أحمد) محاولة تذكر من هو لترتسم على ملامحها الحيرة والتفكير..

- مال القمر سرحان في ايه؟

تنتفض فزعاً نرمين لـ صوت (حسام).. فيرتبك الآخر..

- إيه بس.. حقك عليا معرفش انك مركزة أوي كده؟

= مش تخبط يابني ولا تقول دستور.

- أخبط إيه ودستور إيه انا داخل مكتبي.. إيه بقى اللي واخد عقلك أوي كده

= انت بصيت على صورة (أحمد) ده كويس

- أكيد مانا اللي منزلها

= مبيفكركش بحد.. مش عارفة حاسه إني شوفته قبل كده بس مش فاكرة فين

- آها دي حركة بقى من حركاتك عشان تحقيق بثينة وكده؟

= يا عم بثينة إيه انت الآخر.. انا بتكلم بجد حاسة إني شوفته قبل كده بس مش فاكرة فين بالظبط.. شكله مش غريب عليا

- هو إحنا كده كصحفيين أي حد بنشوف صورته بنحس إنه من أهلنا وبنتأثر معاه

= يابني صحفيين إيه بقى وكلام ايه ده لسه أول مقال

- سيبك بقى من الكلام ده كله وركزي معايا.. النهاردة هاخدك أعزمك على العشا في حتة مطعم.. يجنن.. احتفالاً بنزول أول مقالة للصحفية الكبيرة أوي أوي (نرمين الصالحي)

= هو ده بقى الكلام

- أيوة طبعاً جيبنا سيرة العزومة والأكل نسيتي أحمد والصورة والناس كلها

= بحبك وانت فاهمني كده.. ربنا يخليك ليا وتفضل مدلعني كده علطول

- وأنا بموت فيكي ومعنديش غيرك أدلع فيه يا مغلباني

= بس أنا برضه مش عارفة أنسى موضوع

- يوووه تااني

= بتكلم بجد يا حسام.. أنا حاسة إن الشخص ده إحنا عارفينه ومش أنا بس أنا حاسه إن إنت كمان عارفه.. هو اسمه أحمد إيه طيب؟

- والله يا بنتي الموضوع ده تقدري تسألي فيه الصحفية اللامعة بثينة

= نععم... صحفية لامعة.. ده على نفسها يا حبيبي

- يا واد انت يا جامد.. طب ادخلي يا ست الجامدة اسأليها على التفاصيل

= ادخل وأنا هيهمني يعني

يبتسم حسام ليشير لها على مكان مكتب بثينة.. تقف نرمين لتعود وتجلس ثانية فيضحك حسام.. تضربه نرمين مداعبة إياه في غيظ وتقف ثانية لتمشي بخطوات مترددة اتجاه مكتب بثينة.. تطرق على الباب بحذر.. ولا من مجيب.. تعود لتطرق الباب مرة أخرى.. لتسمع صوت بثينة من الداخل..

- ادخل

تدخل (نرمين) بداخل حجرة مكتب بثينة لتتظاهر الأخرى بقراءة بعض الأوراق.. كم تكره نرمين اصطناع الحب أثناء كرهها لشخص ما.. (بثينة) تلك المرأة التي حين تراها تعرف جيداً أنها استقلالية ولا تريد العبث معها بأي شكل من الأشكال.. تظهر على ملامحها الجدية.. عينين واسعتين أنف أحدب.. شعر داكن والذي لم يتغير شكله منذ زمن طويل..

= استاذة بثينة إزيك.. مبروك على التحقيق

- مبروك على إيه يا بنتي هو أول مقال ليا مثلاً

= معلش أصل الناس كلها بتقولي النهاردة مبروك وكده فارتبكت ودي اول حاجة جات في بالي اقولها

- اها صحيح، أول مقال ليكي النهاردة بعد سنتين شغل.. مش بطال

= احم احم، طب بُصي من غير ما نقعد نناقر في بعض أنا جايه اسألك سؤال وهمشي

- نناقر في بعض؟ إنتي مين يا بنتي عشان اناقرك..

= أنا آسفالك يا ستي.. ممكن بقى اسأل السؤال؟

- اتفضلي

= الشخص اللي كتبتي عنه المقال في جرنال النهاردة.. اسمه أحمد إيه؟

- إيه ناوية تخطفي التحقيق مني ولا إيه؟

= لا والله أبداً... أنا بس بصيت لصورته في الجرنال وحسيت إني أعرفه فقولت..

- ياااااه مش قديمة أوي الحجج دي وبطلوها.. بصيت وحسيت إني أعرفه وعايزة أروح أشوف أهله وأواسيهم.. أصله صعبان عليا.

= لو سمحتي يا بثينة أنا مسمحلكيش.

- أستاذة بثينة.. وأنا اللي مسمحلكيش بالمناقشة دي من أصله.. اوعي تفتكري عشان اسمك اتكتب تحت المقال، ونزل في الجرنال خلاص إنك هتقعدينا في بيوتنا مثلا.. اعرفي حجمك كويس.. اتفضلي عشان عندي شغل

تنظر لها نرمين بغضب.. وتعود بثينة لقراءة تلك الأوراق أمامها..

= إيه يا بورم عملتي ايه؟

- يابااي على بثينة دي.. أنا مش عارفة انتوا بتتعاملوا معاها إزاي.

= يا بنتي اهدي بس حصل إيه لده كله؟

- يا عم يادوب بسأل على اسمه بالكامل هبت فيا وكأن الدنيا خربت.. وهتسرقي تحقيقي

= طب اهدي اهدي.. عارفة مين اللي هيجيبلك قرار الموضوع ده

- مين؟

= أستاذ رائف.. الباشا المدير

- وده يرضى؟

= يا بنتي هما كلمتين حلوين وهدية صغيرة.. مش بعيد يكتبلك الجرنال باسمك اصلاً..

- تفتكر؟

= افتكر جداً.. ادخلي انتي بس وحاولي

تجري (نرمين) على حقيبتها لتحضر منها قالب الشيكولاته.. وتعدل ملابسها وهيئتها لتسير بسرعة نحو مكتب أستاذ (رائف) مدير الجرنال.. تطرق الباب مرتان حتى تدخل في هدوء.. ترى أستاذ (رائف) جالساً على كرسيه مغمض العينين وكأنه نائم ويستمع لموسيقى الأوبرا التي لطالما كان عاشقاً لها.. تتأمل (نرمين) رائف رجل مهندم.. ليس كبيراً جداً في

السن ولا بصغير أيضاً.. كان دائماً محط إعجاب (نرمين) وتعتبره مثلها الأعلى.. صحفي حتى النخاع.. يشتم رائحة الأخبار الجيدة من على بعد ميل.. دائماً كانت تظنه محقق بارع كشارلوك هولمز الذي يحل جميع الجرائم.. نظارة طبية تداري عينين داكنتين رأت الكثير من الأهوال.. تستطيع أن ترى الكثير من شهادات التكريم المعلقة على الحائط فوقاً منه.. وذلك الدولاب الذي يحتوي على العديد من الجوائز لمساعدته في حل ألغاز الكثير من القضايا.. على مكتبه بضع من روايات الجريمة.. تهمهم (نرمين).. يفتح أستاذ رائف عين واحدة ويبتسم ابتسامة صغيرة

= قولي يا غلباوية

- أستاذ رائف.. دلوقتي حضرتك عارف أنا بحب حضرتك وبحترمك قد ايه

= ملهاش لازمة التفاصيل دي.. اطلبي طلبك علطول إنتي عارفة اني مبجيش بالحاجات دي

- قضية بثينة

= هي خلاص بقت قضية.. مقال صغير في حادثة على الطريق بقت قضية.

- أيوة مانا قصدي مقال بثينة.

= ماله.

- كنت عايزة أعرف بس اسم الراجل المتوفي.

= مهو مكتوب عندك في المقال اسمه أحمد.

- مانا كنت عايزة أعرف اسمه أحمد إيه؟

= ده مشروع جواز بقى.. هو إيه حسام خلع ولا ايه؟

- يا أستاذ رائف أكيد لا يعني.. أنا بس..

= انتي روحتي لبثينة عشان تعرفي منها الاسم وطبعاً كالعادة عملتوا خناقة مع بعض.. وجيالي دلوقتي عشان تعرفي مني الاسم.. صح

ترفع (نرمين) قالب الشيكولاته أمام وجهها لتتمتم خوفا..

- صح..

يخطف أستاذ رائف قالب الشيكولاته من يد نرمين ليفتحه في عجالة ويبدأ في التهامها..

- أنا كنت واثقة إن حضرتك مش هتكسفني

= للأسف.. مضطر أكسفك.. لأني فعلاً معرفش اسمه التاني ايه

- كده.. متشكرة يا أستاذ رائف

تبدأ نرمين بالخروج بينما يرجع أستاذ رائف للحديث..

= الصحفي الشاطر مبيسكتش ودايماً بيدور على المعلومة حتى لو في بطن الحوت.. أظن بثينة دايماً بتخبي معلوماتها في تاني درج من المكتب.

تبتسم نرمين لتخرج مسرعة من المكتب بينما يعود أستاذ رائف ليضع يده خلف رأسه ويستمتع بالموسيقى.. في لهفة يأتي حسام مسرعا إليها..

- عملتي ايه

= استنى وهقولك

تنظر نرمين لمكتب بثينة فتراها تخرج تمشي نرمين ببطء كمن يقوم بعملية سرقة داخل بيت مليء بالكلاب.. تدخل حجرة مكتب بثينة لتغلق الباب خلفها بينما يقف حسام مندهشاً مما يحدث.. تعود نرمين لتخرج في عجالة مبتسمة ابتسامة النصر لتسير نحو حسام وتمسك بيده وتجري به خارج الجرنال..

- إيه بقى اللي حصل جوا ده؟

= عرفت الاسم يا حسام

- اسمه إيه بقى

= أحمد عبد الظاهر.. يبقى أخو..

- محمود عبد الظاهر صاحبنا اللي كان معانا في الكلية.. أنا مش مصدق إني معرفتهوش.. ده ياما كان بيوصلنا بعربيته أيام الجامعة

= طب إيه إحنا كده لازم نعزيه

- أكيد طبعاً أنا معايا رقمه.. تعالي نكلمه واحنا رايحين في السكة

= أنا عايزة أعزي مراته يا حسام

- حاضر يا نرمين.. يلا بينا

***

- شـيء غـامض -

يستفيق ياسر بعد بضع ساعات ليجد كلاً من عم سعيد وباسم على الأرض في غيبوبة تامة.. ينهض ليذهب باتجاه عم سعيد أولاً..

* عم سعيد فوق يا عم سعيد.. عم سعيد اصحى

فجأة ينهض باسم ليصدر صوت عجيب يُفزع له ياسر ولكنه سرعان ما يتدارك الأمر ويعود لعم سعيد

* قوم يا عم سعيد

ينهض باسم ليجلب كوب ماء ويلقي به في وجه عم سعيد ليستفيق الآخر مرعوباً وكأنه كان يحلم بملاك الموت.. يربت ياسر على صدره دون أي كلام ليجلس كلاً منهم في زاوية لخطف أنفاسهم..

* أنا مش فاهم إيه اللي حصل ده؟

- أنا مش فاهم أي حاجة.. أنا كنت بضربه على راسه وكان مديني ضهره.. فجأة لقيت وشه في وشي، وشوفت في عينيه غضب فظيع، وبعدها محستش بأي حاجة.

* أكيد فيه حاجة غلط.

يحاول عم سعيد التقاط أنفاسه بصعوبة ليخرج كلامه متجزئاً..

= متكابرش يابني.. إنت كمان شوفت المنظر زينا بالظبط.. انا قولتلكم مش هينفع من الأول.

* يعني إيه.. فضائيين؟.. واشمعنا إحنا المخطوفين منهم لو فضائيين؟

- مش عارف بس أكيد اللي حصل ده ميعملهوش بشر عاديين

= انتوا بتخرفوا تقولو إيه بس.. فضائيين إيه وتخاريف ايه

* عندك تفسير تاني للي بيحصل يا عم سعيد.. فيه حد يقدر يعمل اللي عملوه قدامك وشوفته بعينيك ده

= لا معنديش بس أكيد برضه مش فضائيين

- هو إيه يعرفنا إن إحنا بس اللي محبوسين هنا

* قصدك إيه؟

- قصدي مش يمكن فيه كذا أوضة تانية زي دي جنبنا واحنا مش عارفين

يتأمل ياسر المكان مرة أخرى ليبحث عن ثغرة به أو فتحة ما.. ترى عينيه الطعام موضوعاً كما كان..

* مشالوش الأكل.. غريبة إنهم مهتمين بينا وبصحتنا.. لا حاولوا يقتلونا ولا يعاقبونا بإنهم يشيلوا الأكل.. فيه حاجة مش مظبوطة

= أياً كان.. قوموا بينا ناكل لحسن الخضة دي خلتني أجوع على الآخر

يهم كلاً منهم ليجلسوا حول الطاولة ويبدأوا في تناول الأكل وبعد برهة يغمض ياسر عينيه ليحاول مضغ الطعام..

* الأكل ده ملهوش طعم

- ما أكيد يابني.. إنت فاكر بقى هتاكل أكل الحاجة ولا أكل المدام هنا.. أهو أي أكل والسلام

* مش ده قصدي.. قصدي إن الأكل ملهوش طعم

= أمال قصدك إيه يابني؟

* قصدي يا عم سعيد إن المفروض إننا بناكل فراخ.. بس لو دوقتها هتعرف إن مفيش أي طعم من الفراخ.. حتى العصير لو جيت تشربه هتعرف إن ملهوش طعم.. كل حاجة مزيفة

يلقي عم سعيد بقطعة الدجاج من يده.. بينما يحني باسم رأسه في يأس..

- وهنعمل ايه دلوقتي؟؟

يمسك ياسر بقطعة الحديد التي معه وينهض عازماً..

* أياً كان الطريقة فإحنا هنخرج من هنا يعني هنخرج

يمسك باسم بقطعة الحديد التي معه هو الآخر.. ليجلب عم سعيد قطعة خشب ويبدأ ثلاثتهم بالطرق على الحائط دفعة واحدة..

***

- مفقود -

يقف كلاً من (نرمين) و(حسام) أمام الباب ليطرق حسام الباب بهدوء..
يُفتح الباب (أسامة) شقيق أحمد..
- أسامة.. البقاء لله يا حبيبي وربنا يجعلها آخر الأحزان
= البقاء لله يا أسامة.. صدقني إحنا أول ما عرفنا جينا جري أنا وحسام
* مكانش ليه لازمة تعبكم يا جماعة صدقوني.. كفاية حسام عزاني في التليفون
= لا طبعاً إحنا صحاب وإخوات من أيام الكلية.. إحنا صدقني معرفناش إنه أخوك غير متأخر
* ولا يهمكوا.. اتفضلوا اتفضلوا
يدخل ثلاثتهم للداخل.. ليجدوا بيت متواضع.. يحفظ حسام أركانه جيداً طالما كان صديق وفي لـ (أسامة) حتى فرقت الحياة كلاً منهم لطبيعة العمل.. بيت بسيط وتشعر من أول وهله كأنه بيتك.. تجلس نرمين على الأريكة ليتبعها حسام.. بينما يعتذر منهم أسامة لدقائق ويدلف للداخل آتيا بالقهوة.. المشروب المعتاد في مثل تلك الظروف
- يابني بتعمل ايه بس؟ ليه التعب ده؟
* يا عم تعب ايه بس.. اتفضلوا
تمد يدها نرمين لتأخذ كوب القهوة..
= قولي يا أسامة أنا اللي قريته في الجرنال مفهمتهوش.. يعني هو ميت ولا مماتش؟!
* كان نفسي يبقى عندي إجابة لسؤالك صدقيني.. بس للأسف مفيش حد فينا يعرف

- طب إنت ممكن تحكيلنا ايه اللي حصل؟ ونحاول نفهم معاك الدنيا ازاي بالظبط؟
* لا دي بقى استنوا أندهلكوا (مريم) مرات أحمد.. وتحكيلكو بنفسها ايه اللي حصل
= آه ياريت والنبي يا أسامة.. أنا نفسي أعزيها كمان
يدخل أسامة.. ليعود ممسكاً بيد (تقى) والتي تبدو خجلة بعض الشيء.. بينما في الخلف تظهر (مريم) وعلامات الحزن تظهر عليها.. لطالما كان الندم أكثر الأشياء التي تستطيع التهامك حياً.. عيون جفت من كثرة الدموع.. ووجه قد ظهر عليه ملامح العجز.. تلقي السلام عليهم وتجلس (مريم) في هدوء شاردة الذهن..
= أنا آسفة يا مريم لو جينا في وقت مش مناسب.. بس إحنا حبينا نعزيكي مش أكتر.. البقاء لله يا حبيبتي
لم تعر مريم انتباها لها.. ولكنها ظلت صامتة ليتدخل حسام..
- الباقية في حياتك يا مريم.. أنا عارف إنكو كنتوا بتحبوا بعض من أيام الجامعة وأكيد الصدمة كانت شديدة عليكي.. إحنا بس عندنا كام سؤال وعايزين نعرف لو نقدر نساعدك
لمرة أخرى.. لم تصدر مريم أي رد فعل.. فيبدأ أسامة بمناداتها لشعوره بالحرج.. وعندما لم تجيب يبدأ أسامة بلمس يدها لتنتبه فزعة للذي يحدث..
* آسفة يا جماعة كنتوا بتقولوا إيه.
= الباقية في حياتك يا حبيبتي.. الله يرحمه
* حياتك الباقية
- إحنا بس كنا عايزين نعرف اللي حصل عشان لو نقدر نساعد في أي حاجة؟

* ليه عشان تعملوا تحقيق صحفي زي زميلتكم؟؟
- مريم ميصحش كده.. يحدثها أسامة بنبرة حادة
تنظر مريم لـ حسام ثم للأرض..
* أنا آسفة يا جماعة.. معلش أنا بس من ساعة اللي حصل أعصابي مشدودة حبتين
- ولا يهمك يا حبيبتي إحنا مقدرين أكيد..
تنتبه نرمين لـ تقى وتنظر لها بابتسامة.. تمد يدها لتلقي الأخرى بيدها في يد نرمين
- إيه الحلاوة دي بس؟ إنتي عارفة إنك زي القمر؟
= آه ماما بتقولي كده علطول
يبتسم حسام وأسامة بينما تظل مريم كما هي..
- طب ممكن تيجي تقعدي جنبي؟
تنظر تقى لـ أمها لتشير الأخرى بوجهها إشارة تفهم منها تقى أنه لا بأس بذلك.. تقف تقى لتلطقتها نرمين بين أحضانها..
- انتي اسمك ايه بقى؟
= تقى أحمد عبد الظاهر
- الله اسمك حلو أوي
= شكرا يا طنط
- والنبي انتي بقيتي روح طنط خلاص.. ممكن بقى نبقى أصحاب واسألك سؤال؟
= طبعا يا طنط
- ممكن بقى تحكيلي لما بابا كان معاكوا في العربية بعدها حصل ايه بالظبط؟

= كنا ماشيين بالعربية وبابا وماما كانو بيزعقو مع بعض جامد.. بعدين العربية مشيت بينا على جنب وبابا وقع من العربية وماما فضلت جواها.. قومت من النوم ونزلت من العربية حاولت اصحي ماما كتير مصحيتش.. بعدين لقيت ناس كتير جات على العربية وفضلوا يصحوا في ماما.. وفيه اتنين كانوا شايلين بابا على سرير ومشيوا بيه بس مكانش مفتح خالص.. قعدت أنادي عليه كتير بس هو مردش عليا.. بعدين حد شالني وقالي نبعد عن العربية وبعدها ماما صحيت وبس

- يا حبيبتي.. طب ممكن اسألك سؤال تاني؟

= سؤال واحد بس

- آه يا حبيبتي سؤال واحد بس.. ممكن توصفيلي شكل الناس اللي كانوا شايلين بابا؟

= كانوا طوال أوي ولابسين أبيض.. وشعرهم أصفر كبير

تبدأ نرمين في الانفعال..

- مشوفتيش أي ملامح تانية.. تعويرة رسمة على وشهم أو دراعهم أي حاجة مميزة

* لو سمحتي كفاية كده..

تنطقها مريم وهي تنظر لـ نرمين بحدة..

- أنا..

= يلا يا تقى تعالي نكمل لعب جوا.. يقولها أسامة وهو يمد يده لـ تقى.. تقف تقى لتمسك بيده ويأخذها ليدلف بالداخل بهدوء..

- أنا عارفة إن إنتي كل اللي يهمك التحقيق.. بس مش انتي مش حاسه باللي جوانا..

* مادام مريم أكيد نرمين متقصدش.. هي بس قصدها تساعد

- ممكن يكون نيتها خير.. بس الأسئلة دي مش هتجيب نتيجة

تصمت ثواني لتلقط أنفاسها وتعود لتعتدل في جلستها..
- تقى عمرها ما كدبت عليا.. وعمرها ما قالت حاجة محصلتش.. كتير قالولي إنها ممكن صدمة بعد الحادثة أو ممكن تكون الحادثة أثرت على دماغها بأي طريقة.. بس أنا عارفة إن بنتي سليمة ومبتكدبش.. وبرغم كده مش عارفة أصدقها.. كل الدلائل بتقول إن أحمد مات.. ولو اتخطف فمين اللي خطفه وليه محدش اتكلم عشان يطلب أي حاجة
= مهو ممكن يا مادام مريم يبقى تجار أعضاء!
تتراجع نرمين في جلستها بعدما تشعر بفداحة ما قالته للتو..
* نرمين قصدها إن مش كل اللي بيخطف بيخطف عشان يطلب فدية أو فلوس.. الخطف بيبقاله أسباب كتير.. ومادام حضرتك مصدقة تقى فده سبب يخلينا نمشي ورا الموضوع
- خلينا نفترض انه خطف عشان سرقة الأعضاء.. فيه حد عاقل هيخطف حد لسه خارج من حادثة ويعرض نفسه لمصايب زي كده وهو مش ضامن إنه يلاقي عضو واحد سليم بعد حادثة زي دي.. لا وكمان هيحضر سرير ويجيب عربية.. كان عارف إننا هنعمل حادثة مثلا؟
= طب ممكن اسأل حضرتك مكان الحادثة كان فين بالظبط ونروح أنا وحسام نسأل ولو لقينا حوادث مشابهة على الطريق ده يبقى دي عصابة وهنعرف نوصلها..
- صدقيني مفيش فايدة.. أنا عارفة إن الصحفية اللي جواكي عايزة تعمل تحقيق.. وأنا هقولك العنوان..
تصمت مريم لعدة ثواني وتبكي في صمت.. ليخرج صوتها في ضيق..
= بس أرجوكي لو عرفتي أي حاجة تعرفيني
تقف نرمين لتتجه ناحية مريم لتمسك برأسها بين أحضانها..

- أكيد يا حبيبتي.. صدقيني هنعمل كل اللي نقدر عليه عشان نعرف الحقيقة

تنظر نرمين لحسام... ليردد هو الآخر

* أكيد يا مدام مريم.. أكيد

***

- مفاجأة -

يستمر الثلاثة في الطرق على الحائط كلاً منهم بما معه من أداة.. حتى يتعب عم سعيد ليخفض رأسه ويلقي بالخشبة التي معه..

- ارتاح إنت يا عم سعيد شوية

= ارتاح إزاي بس يابني انت مش قولت دي الطريقة الوحيدة

* ارتاح يا عم سعيد زي ما قالك ياسر.. إحنا هنكمل

يبتعد عنهم عم سعيد.. ليجلس على الكرسي في تعب.. ينظر لهم وهم يطرقون..

= تفتكروا لما نفتح الحيطة دي.. مش أكيد هنلاقي ناس منهم تاني

- أو يمكن نلاقي ناس زينا محبوسة وعايزة تخرج

* كل اللي أعرفه إننا لازم نخرج من هنا بأي ثمن

يعاود الاثنان الطرق بقوة على الحائط.. بينما يتجه عم سعيد لطاولة الطعام ليشرب بعض الماء..

- أنا اللي مستغربه بجد.. إزاي كل الخبط والرزع ده ومحدش فيهم سامع حاجة

= صوت إيه.. أنا اللي مستغربه أكتر إن بقالي سنة بكسر في الحيطة وملهاش نهاية.. والأغرب إنهم كل يوم بيدخلو يجيبو الأكل وبيشوفو الحيطة التكسير وبرضه محدش فيهم بيتكلم

* ده إذا كانوا بيتكلموا أصلا

- قصدك إيه يا عم سعيد؟

* قصدي يابني.. إن محدش فينا سمعلهم صوت غير الصوت اللي اللهم احفظنا سمعناه لما ضربناهم آخر مرة.. غير كده محدش فينا سمع صوت أي حد فيهم

- هو انتوا كل ده محدش فيهم كلمكو أبدا؟

= أبدا.. ولا حد فينا سمع صوت

- غريبة

* غريبة إزاي يابني

- اللي انتوا بتقولوه يا عم سعيد واللي انا حاسه.. إننا في مكان تحت الأرض أو مكان معزول..

= قصدك ايه يا ياسر؟

- قصدي إننا بناخد وقت كبير عشان نسمع صوت حد جاي.. وصوت الخطوات نفسها بياخد وقت طويل لحد ما يوصلنا.. ومادام احنا بنسمع صوت الخطوات دي من بعيد أوي كده.. يبقى أكيد صوت خبطنا في الحيطة واصلهم.. واللي على كلامك يا باسم هما شافو وعملوا نفسهم مش شايفين اللي بيحصل

= وده معناه إيه؟

* معناه يابني إنهم عارفين إننا مش هنوصل لحاجة مهما خبطنا..

- لا يا عم سعيد مينفعش نيأس مهما حصل

يعاود باسم وياسر الطرق بقوة أكثر على الحائط.. ليتفاجئ الجميع بصوت مختلف أثناء الطرق.. كالطرق على المعدن.. يقف عم سعيد مندهشاً.. ويتوقف باسم عن الطرق ويتحسس ياسر الحائط بتعجب وفرح في آن واحد..

- مش قولتلكم مينفعش نيأس

يبدأ باسم وياسر الطرق بقوة أكثر وأكثر وأكثر.. لينفرج جزء بسيط من المعدن.. ينظر باسم من ذلك الثقب البسيط ليرى النور يغطي كل شيء..

= أنا مش شايف حاجة

يزيح ياسر باسم من طريقه.. ليأتي وينظر بداخل الثقب.. يبتعد قليلاً ليعيد الطرق بكل ما أوتي من قوة.. ينفرج الثقب أكثر وأكثر.. عم سعيد يضع يده على رأسه من الاندهاش والفرحة.. ليقف باسم ممسكاً بالأداة التي معه في حذر.. يقترب ياسر من الثقب لينظر مرة أخرى.. يرى فتاة جالسة وشعرها منسدل على ظهرها وتكتب شيء ما في بعض أوراق أمامها..

- أنا شايف.. أنا شايف بنت؟؟

* كلمها يابني.. نادي عليها نادي عليها

- يا.. يا آنسة.. إنتي يا بنتي..

تشيح البنت بوجهها يمينا ويساراً.. ليدرك ياسر إنها ابنته (مها).. يبكي ياسر في صمت ليبتعد عن الحائط قليلاً.. ليمسك به عم سعيد..

* مالك يابني فيك إيه.. شوفت حاجة؟

- بـ.. بنتي يا عم سعيد

* بنتك.. بنتك مين.. انت افتكرت حاجة أو شوفت حاجة؟

يجري ياسر باتجاه الحائط لينظر من الثقب..

- مهاااا.. أنا أبوكي يا مها.. يا مها بصيلي يا مها أنا أبوكي.. اهربي يا مها اهربي

يبدأ ياسر بالطرق على الحائط والصراخ باسم مها ابنته.. ليمسك به باسم ليبعده عن الحائط.. يضرب ياسر باسم على رأسه ليبعده عن الطريق.. ليمسك باسم بجسد ياسر ويرميه أرضاً.. يقف ياسر منتفضاً

- سيبني.. سيبني أكلم بنتي

= اللي انت شايفه ده وهم مفيش حاجة الناحية التانية فوق..

- مش وهم بقولك دي بنتي مها

يقترب ياسر ثانية من الحائط ليبعده باسم مستخدماً الأداة التي معه.. يقف عم سعيد خائفاً في الزاوية

= فوق بقولك فوق ده كله وهم

- يعني ايه.. إيه قلبوك علينا خلاص.. بقيت معاهم

يمسك ياسر الحديدة التي معه ويستعد ليهوى بها على رأس باسم.. ولكن فجأة.. يلقي باسم الحديدة التي معه ويعتدل كما لو كان يؤدي التحية العسكرية لأحد.. يبتسم ابتسامة مريبة كمن فهم مكنون اللعبة بأكملها..

- فيه ايه؟ مالك يا باسم؟ باسم..

ولكن ليس هناك أي رد فعل من باسم.. يستمر باسم في الاتجاه ببطء باتجاه باب الغرفة

* انت عملتله حاجة يابني؟

- أبداً والله يا عم سعيد مانت شوفت اللي حصل.. هو اللي ضربني

* أمال ماله بس عامل كده ليه.. ورايح فين كده؟

يقف باسم أمام الباب.. ليسمع عم سعيد وياسر صوت الخطوات يقترب ولسبب ما.. لا يخاف عم سعيد هذه المرة ويقف خلف الكرسي بل يقف متعجباً لما يحدث.. يُفتح الباب قليلاً ليأتي اثنان ويمشي معهم باسم في هدوء.. ليغلق الباب خلفهم في هدوء

***

- على جانب آخر -

في يوم هادئ.. تجلس سميحة على الكرسي لتبدأ كتابة الرواية الجديدة.. تستطيع أن ترى فوق الكرسي صورة الزفاف وهي سعيدة.. لقد تغيرت ملامحها بشكل كبير بسبب الحزن فلو نظرت إلى الصورة تشعر بأن من تجلس على الكرسي هي أمها وليس ذات الشخص.. امرأة في الثلاثين من العُمر.. مُفكرة.. خيالية لدرجة كبيرة.. طالما كانت تؤمن أن الخيال أفضل من الواقع.. يدق جرس الباب لتفتح فتجد ابنتها (مها)..

- إزيك يا مامي؟

= حمد لله على السلامة يا حبيبتي إزيك؟

- تمام

= يومك في المدرسة كان حلو؟

- آه تمام

= طب يلا ادخلي جوا اوضتك كده وغيري هدومك واغسلي وشك عشان ناكل سوا

- أوك

تدخل (مها) حجرتها لتترك حقيبتها جانباً.. تلك الفتاة المراهقة التي لم تتخطى موت أبيها بعد.. شعر ناعم.. عيون سمراء دامية من كثرة البكاء.. وتلقي بنفسها على السرير ولتتأمل في السقف لبرهة.. حجرة منظمة.. والسرير مليء بتلك الألعاب المحشوة.. دولاب صغير وأمام السرير هناك مكتبها الخاص.. تقف مها لتتمشى بخطوات بسيطة لتنظر لصورة (ياسر) أبيها الموضوعة فوق المكتب لتحتضنها في صمت.. تغمض عينيها.. لتعود وتجلس على الكرسي.. لتخرج بعض الأوراق وتبدأ في كتابة شيء ما..

لتسمع بعد برهة صوت خافت ينادي باسمها.. تشيح بوجهها يمينا ويساراً ولكنها تعود لتسمع ذلك الصوت الخافت يناديها مرة أخرى

- مها بنتي.. بنتي

= مين بيتكلم؟؟

ترى مها أبيها خلفها وكأنه يخرج من الدولاب.. لتقوم مسرعة إليه..

= وحشتني يا بابا.. بابا إنت فين يا بابا.. أنا سمعاك يا بابا كلمني!

يزيد صوت مها حدة وهي تصرخ..

= أنا سمعاك يا بابا كلمني.. يا بابا روحت فين يا بابا روحت فين

تأتي سميحة مسرعة لداخل الغرفة.. لتنظر ابنتها تدور داخل الغرفة وهي تنادي أبيها فما منها إلا أن تحتضنها ويبكيان.. تمسح سميحة دموعها لتنظر في أعين ابنتها

- حبيبتي إحنا مش قولنا خلاص بابا راح عند ربنا

= يا مامي لأ.. بابا هنا أنا شوفته صدقيني

- يا حبيبتي.. بابا خلاص مات.. ومينفعش تقولي كده ولا تفكري في كده

= يا مامي صدقيني أنا لسه شيفاه.. كان بيناديني يا ماما كان بيقول مها بنتي.. أنا شوفته بعيني

- يوووووه أنا تعبت بقى.. بابا مات يا حبيبتي مات.. ومينفعش نقول غير إن ربنا يرحمه.. إنتي فاهمة

تقف مها وهي تبكي لتفتح الدولاب وتبدأ في رمي ملابسها قطعة تلو الأخرى.. تبحث عن والدها وسط الملابس فلا تجده.. تقوم لتفتش غرفتها فلا تجده.. تمسك بيدها الصورة لترتمي في أحضان سريرها باكية

= وحشتني أوي يا بابا..

***

- لم تحدث من قبل -

شمس حارقة.. قد بدأ الصيف يعبر عن ذاته.. تسير السيارة بحسام ونرمين وسط تلك الجبال الشاهقة..

= عليا النعمة إنتي هتخربي بيوتنا

- ليه بس.. فيه حد خارج مع حبيبته في يوم لطيف زي كده ويقولها الكلام ده.. وبعدين ده أنا متشيكة اهو وحاطة ميكب كمان

= مهو حضرتك باللي بنعمله ده مش هتلاقي فلوس تحطي ميكب وأنا احتمال ابيع العربية

- ايه اللي حصل ده كله؟

= حضرتك إحنا مروحناش احنا الاتنين الجرنال النهاردة وحتى مخدناش إذن من أستاذ رائف.. فيها خصم أسبوع دي والمرتب مش مستحمل

- ياباي عليك راجل.. يابني الناس بتخرج وبتستغل الظروف عشان تقول كلمة حلوة تعاكس.. إنما انت.. ويا سيدي محلولة.. استنى هكلملك أستاذ رائف وآخد منه إذن

= كلميه ياختي أنا مش هعرف أكلمه.. هبقى أقابله بعدين بقى واقوله أي عذر

ترفع نرمين هاتفها المحمول ليأتي صوت جرس من الجهة الأخرى..

- أستاذ رائف إزي حضرتك

* أهلا بالأستاذة المتغيبة

- والله يا أستاذ رائف أنا حصلي ظرف ومقدرتش أجي النهاردة خالص

* ظرف إيه ده بقى إن شاء الله

- ظرف يا أستاذ رائف.. ظرف
* أهآاا.. لا يا حبيبتي ألف سلامة عليكي من الظرف.. سلميلي على أبو ظرف اللي جنبك هو كمان وقوليله أستاذ رائف لما يشوفك هيجمعلك حبة ظروف حلوة كده يديهالك
- تمام يا أستاذ رائف.. سلام
تغلق الهاتف نرمين لتنفجر ضاحكة..
- بيقولك لما يشوفك هيديلك حبة ظروف حلوة يابو ظرف
= ياختاااي.. ليلتنا مش فايتة.. خربانة خربانة بقى.. بس بقولك إيه إنتي احلويتي كده امتى
- الله مش كنت مش طايق روحك من شوية
= لا مهو مادام عرف وكده كده رايحة في داهية.. نستغل بقى الظروف
- تستغل ظروف ايه يا حبيبي بأمانة هنسى إن إنت حسام وهديك بالقلم على وشك.. ركز في الطريق بدل ما اقتلك
= بحب سفاحة ياربي.. حاضر.. هو لا كده عاجب ولا كده عاجب
تمسك نرمين بجريدة اليوم التي أحضرتها معها.. تبدأ بقراءة حظك اليوم.. لتجد بالأسفل ذلك الخبر الصغير... العثور على جثة الباش مهندس حمدي عبد الجليل بعد مرور سنتان.. لتتفحص الخبر سريعاً.. تعثر قوات الأمن على جثة المهندس حمدي عبد الجليل المتوفي منذ سنتان وذلك بعد بلاغ تقدم به أحد أفراد طقم مركب (السنيورة) وقد تقدم ببلاغ بوجود جثة طافية على مياه النيل وسارعت قوات الأمن في اتخاذ الإجراءات اللازمة لمعرفة من صاحب تلك الجثة وبعد التحاليل قد تأكدت أنها جثة المهندس حمدي عبد الجليل كل الشكر لقوات الأمن و... إلخ
= مالك يا بنتي سرحتي في ايه؟

- مش عارفة.. حاسه إن الموضوع غريب حبتين.. وبعدين بقالي يومين عماله اقرا عن حكاية الجثث المفقودة دي.. كتير أوي كتير أوي يا حسام بجد الموضوع متعب نفسياً لأهل الميت بطريقة بشعة.. واحدة زي مريم دي لا هي عارفة هو ميت ولا فعلاً فيه ناس خطفاه

= مهو إحنا بقى هنا عشان نساعد يا نرمين.. ثم يا سيادة الصحفية ده دورك عشان تكتشفي الحقيقة

- استنى يا حسام اركن على جنب.. هو ده المكان اللي قالت عليه مريم.. عند الشجرة الكبيرة اللي هناك دي

يقف حسام بالسيارة ينزل كلاً منهما.. يتفقدان الشارع.. يجدان محطة بنزين على أحد الجوانب وعلى الجانب الآخر يجدان (سوبر ماركت) كبير.. يسرعان ليدخلاه.. يبدأن في أسئلة كل من يجداه على سيارة أحمد حتى أنهما يظهران له صورة قد أخذوها من مريم ولكن لم يراه أحد.. ولا أحد يتذكر تلك الحادثة.. يحدثهما أحد العاملين بأن محطة البنزين هي الأقرب لمكان الحادث وربما هناك يعلمان شيئاً ما.. يسرعان إلى (محطة البنزين) ليبدأ كلاً منهما في سؤال كل من يراه عن الحادث.. يشير معظمهم إلى مقر المدير الحاج إسماعيل.. يجتمعا عند الباب.. يطرقان الباب بأدب ليسمعا من الداخل صوت أجش..

* ادخل

= السلام عليكم يا حاج إسماعيل

* وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

= لو سمحت يا حاج إسماعيل كنا عايزين نسأل حضرتك كام سؤال كده

- متخافش يا حاج مش مباحث

* وهو فيه مباحث هتقول لو سمحت يا بنتي.. ثم المباحث مبتشغلش بنات حلوة كده.. اتفضلوا
= سمعت يا حاج من شهر كده عن حادثة بعربية في منطقة جنبك هنا
* يابني الطريق ده طريق سريع.. وربنا يكفينا شره كل يوم والتاني فيه حادثة
- لا يا حاج الحادثة دي.. عربيتها كانت لونها أصفر وخرجت برا الطريق شوية كانت بعد البنزينة بشوية صغيرين
* آه افتكرت افتكرت.. وكان أظن معاهم بنت صغيرة
= بالظبط يا حاج
- ممكن يا حاج تحكيلنا إيه اللي حصل بالظبط؟
* أنا يا بنتي كنت قاعد في أمان الله.. مكاني كده بالظبط وفجأة سمعنا صوت فرامل عربية جامد وبعدين سمعنا صوت خبط جامد.. طلعنا كلنا نجري من البنزينة.. بيني وبينك وقفنا الأول وخوفنا يكون هيحصل انفجار ولا حاجة.. بعد شوية طلعنا نجري على مكان الحادثة.. لقينا العربية خارجة عن الطريق وخابطة في شجرة كبيرة.. معرفناش ننزل لأن الطريق جبل زي مانتي شايفة وأنا راجل كبير.. العيال بتوع البنزينه حاولوا لحد ما عرفنا ننزل شوية لقينا بنت صغيرة واقفة وعمالة تبص حواليها.. أنا شيلتها وروحت طالع بيها من مكان الحادثة.. كنا طبعاً طلبنا الإسعاف قبل ما ننزل.. ولما جات لقت الست اللي جنب السواق مخبوطة جامد في دماغها.. وإزازة العربية مكسور والسواق مش موجود
- يعني السواق مكانش موجود خالص يا حاج ولا حد شافه راح يمين أو شمال؟
* لا يا بنتي مكانش موجود

= معلش يا حاج أصل إحنا اتكلمنا مع البنت الصغيرة وبتقول إنها شافت اتنين شعرهم أصفر وطويل وشالوا باباها اللي كان سايق العربية ده ومشيو بيه

* لا يابني للأمانة أنا مشوفتش سواقين ولا ناس طويلة وشعرها أصفر خالص.. أنا شوفت الإسعاف وهي بتشيل الست من العربية والعيال اللي عندي على قد ما قدروا ساعدوها وأنا فضلت مع البنت الصغيرة لحد ما جات الإسعاف

- طب أنا هسألك سؤال غريب شوية يا حاج إسماعيل معلش

* اتفضلي يا بنتي ولا يهمك

- هي الحكاية دي محصلتش قبل كده.. خطف.. إن جثة متبقاش موجودة.. إن حاجة غريبة تحصل في حادثة

يعود عم إسماعيل بالكرسي إلى الوراء لمحاولة تذكر شيء مشابه.. تلمع عيناه لبرهة..

= إيه يا حاج افتكرت حاجة؟

* زمان يابني من ييجي سنتين تلاتة.. حصلت حادثة زي كده.. واحد برضه وقت الحادثة جه وخطف عيلة صغيرة وهرب بيها على موتوسيكل.. بس الكاميرات بتاعتي جابته والحكومة أظن مسكته لأن قريت عنها في الجرنال

- الكاميرات.. إزاي مجاتش في بالنا دي.. ممكن يا حاج نبص على الكاميرات في المكان

* يا بنتي انتي بتتكلمي في حادثة من كام شهر.. وأنا الكاميرات بتاعتي آخرها لحد أسبوع.. فأكيد مش هتكون مسجلة حادثة زي دي

- طب يا حاج تعرف أي حاجة عن الراجل ده؟

* استني يا بنتي.. أنا كنت شايف الجرنال اللي نشر الخبر

يبدأ الحاج إسماعيل في البحث عن الجريدة في خزينة الأوراق بينما يميل حسام باتجاه نرمين

= خطف إيه يا بنتي وبتاع ايه

- اصبر بس ما يمكن نفس اللي حصل مع البنت الصغيرة دي حصل مع أحمد

= يا بنتي انتي مصدقة نفسك.. ده واحد شكله بيخطف عيال.. هيخطف شاب كبير زي كده يعمل بيه ايه؟

- يا عم اسكت بقى خلينا نشوف

يعود عم إسماعيل بالجريدة..

* اهيه يا ستي.. أنا كنت عارف إنها هنا

- جعفر عبد التواب

= ده اسم مجرم رسمي ده

تأخذ نرمين الجريدة لتتفحصها جيداً ثم تعيدها مرة أخرى إلى الحاج إسماعيل شاكرة له.. يقف كلاً من نرمين وحسام ليودعا الحاج إسماعيل..

= مالك يا بنتي سرحتي كده ليه لما قريتي الجرنان؟

- نفس التاريخ اللي خطف فيه الراجل ده البنت الصغيرة.. هو نفس تاريخ الحادثة اللي حصلت لأحمد

= عادي يعني.. ما ممكن صدفة

- ممكن

= عارفها أنا النظرة دي.. شغل الصحفية بقى يبتدي يطلع دلوقتي.. عادي يا نرمين ما يمكن مجرد صدفة مش أكتر.. وممكن نفس اليوم اللي خطف

فيه الراجل البنت هو يوم فيه ولاد عمتي اتجوزوا.. عادي صدف والله وبتحصل مش لازم مترتبة

- طب يا بايخ.. يلا بينا نروح لمدام مريم نقولها المستجدات

= يا بنتي حرام نديها أمل كده

- أمل إيه.. إحنا بنقولها على اللي لقيناه لأننا وعدناها بكده

= طب استني آخد كام صورة بقى لمكان الحادثة بما إننا هنا بالمرة

- اتفضل يا سيادة الفوتوجرافر

تبدأ نرمين في إتباع حسام اتجاه مكان الحادث حين يرن الهاتف..

- أيوة يا أستاذ رائف

* إنتي فين يا نرمين

- مانا قولت لحضرتك إن عندي ظر..

* انتي تيجي حالاً المكتب انتي وحسام بيه بتاعك.. ساعة زمن وألاقيكو عندي

- طب فيه ايه طيب؟

* ألاقيكم انتو الاتنين قدامي يا نرمين

- حاضر حاضر

يغلق أستاذ رائف الهاتف.. لتنظر نرمين للهاتف مندهشة مما حدث.. تسرع لتأخذ بيد حسام ويركبا السيارة ليعودوا إلى المكتب..

***

- محاولة أخرى -

يستفيق عم سعيد فزعاً من النوم ليجد ياسر أمام الحائط يطرق عليها بتلك الأداة الحادة التي معه.. يرى عم سعيد الأكل موضوعاً.. كيف لم يشعر بهم أثناء دخولهم؟.. يعتدل ليجلس على حافة الأريكة.. ينظر لياسر وهو يُحاول كسر ذلك الحائط كالمجنون

- يابني طب تعالى كلك حاجة

= أنا مش هاكل ولا هشرب غير لما أخرج من هنا

- يابني مانت حاولت ومنفعش

يتوقف ياسر عن الطرق لبرهة.. يميل رأسه إلى الأسفل.. ليعود ويكمل طرق

- البنت اللي انت شوفتها دي متأكد إنها بنتك؟

= بنتي يا عم سعيد بنتي مها

- احكيلي عنها

ينظر له ياسر والحيرة تملأ عينيه..

- إيه مش فاكر برضه؟

= أنا مش فاكر أي حاجة يا عم سعيد ولما شوفتها في الأول مكنتش عارفها.. أول ما شوفت وشها افتكرت إنها بنتي وإحساس غريب خلاني عايز أجري عليها واحضنها أوي كأني كنت مقصر في حقها بقالي سنين

- كنت مسافر مثلا؟

= مش فاكر يا عم سعيد مش فاكر

يعود ياسر ليطرق على الحائط..

- طب مفتكرتش حاجة تاني غير اسمها؟

= كل اللي افتكرته كلمة بابا منها

يصمت عم سعيد ليقف ويربت على كتف ياسر..

- ربنا يابني يرجعك لبنتك بالسلامة.. بس يابني كل اللي بنعمله ده مفيش منه فايدة

ينفعل ياسر..

= امال ايه اللي صح يا عم سعيد.. نقعد وناكل ونشرب ونمثل إننا حياتنا تمام.. وإحنا مرميين هنا ومش عارفين مين اللي خاطفنا ولا عايزين مننا إيه؟

- طب يابني مانت جربت الخبط على الحيطة وعرفت إن مفيش مخرج منها.. المخرج الوحيد هو الباب وهما الوحيدين اللي بيدخلو ويفتحوه ويقفلوه

تلمع عين ياسر فجأة.. ليقترب من عم سعيد.. يبتعد عم سعيد خوفاً ببطء ليحتضنه ياسر..

= الله عليك يا عم سعيد.. إنت صح.. إنت صح.. إزاي مجاتش في بالي كل الفترة دي

- هي ايه دي يابني وأنا قولت ايه؟

= الباب.. هو المخرج الوحيد من هنا.. ومادام مش سامعين صوت خبط الحيطة أكيد مش هيسمعو الخبط في الباب..

- طب مهو أكيد حد هيقابلك منهم وهيعملو فيك زي ما عملوا فينا قبل كده واحنا يابني مش حمل الموضوع ده تاني

= لا يا عم سعيد إحنا هنخرج من هنا المرة دي

يذهب ياسر مسرعاً ممسكاً بتلك الحديدة ليطرق عدة طرقات على باب الغرفة.. ورغم نداءات عم سعيد وخوفه إلا إنه لا ينتبه له ويعاود الطرق مرة أخرى وأخرى وأخرى.. حتى فجأة ينكسر الباب.. يعم الصمت المكان لثواني عدة ينظر فيها حسام لعم سعيد بدهشة وخوف بينما يتشبث الآخر في ذراعه كطفل خائف من عبور شارع مليء بالسيارات وحيداً.. ينظر ياسر بأعين عم سعيد

= عم سعيد جه الوقت اللي هنخرج فيه من هنا

- يابني بس

= مفيش بس

يمسك ياسر بيد عم سعيد ليتشبث بيده الأخرى بأداته الحادة.. بينما يركل الباب بقدميه.. ولأول مرة يخرج عم سعيد من تلك الحجرة.. كمسجون عاش طوال حياته يحدثونه على الحرية وها هو يخطي خطواته الأولى خارج السجن..يبدأ ياسر في السير ببطء ولكنه لا يسمع أي شيء.. ولا يرى أي أحد.. مُجرد ضوء خافت آخر ولكنه مكان أوسع.. يستمر في السير ويستمر ويستمر.. حتى يقف مكانه مرتعباً.. لأول مرة منذ أن استيقظ في هذا المكان يقف عاجزا أمام ما يحدث.. حتى أنه يرى عم سعيد يقع أرضاً من المفاجأة.. فها هو يرى أمامه باب الحجرة مرة أخرى وكأنه كان يدور حول نفسه.. يصرخ عالياً ويبدأ في العدو كمن يسابق الزمن.. يعدو ويعدو ولكنه يفاجئ بوجود عم سعيد مرة أخرى أمامه.. يسقط أرضاً ليبكي كالأطفال

- يارب.. يااارب إحنا فين بالظبط.. إحنا ملناش غيرك يارب استرها معانا

= أكيد فيه طريقة تانية.. أكيد

يبدأ ياسر في العدو مرة أخرى وأخرى وأخرى لكنه يجد أمامه عم سعيد في كل مرة.. يستند على الحائط من كثرة التعب... ليأتيه عم سعيد

- وهنعمل إيه دلوقتي يابني؟

= مش عارف يا عم سعيد مش عارف

- أنا كل اللي خايف منه الجماعة دول لما ييجوا يلاقو الباب مكسور هيعملوا فينا إيه

يبدأ ياسر في التفكير ولكنه لا يجد حل ليصرخ بأعلى صوته

- يابني هيسمعونا يابني

= يسمعونا خليهم يسمعونا ويواجهونا يا عم سعيد أنا لازم أعرف انا فين.. أنا لازم أرجع لمها.. انت فاهمني لازم ارجع لبنتي

- هترجعلها يابني.. هترجعلها.. اهدا بس كل اللي بتعمله ده مفيهوش فايدة

يبدأ كلاً منهما في سماع صوت الأقدام قادمة.. يعرفون تلك الأقدام جيداً.. ولكنه ليس بموعد طعام فهو يعرف أوقاتهم جيداً..

- يلا بينا يابني ندخل الأوضة بسرعة قبل ما ييجو

= لا يا عم سعيد إحنا لازم نواجه

- ماحنا واجهنا قبل كده يابني ومنفعش.. تعالى بس دلوقتي وبعدين نفكر في حل

يعيد التفكير ياسر ثانية لبرهة.. ليجد أن حديث عم سعيد هو المنطق بعينه.. فالعنف لن يكون الحل أبدا في الخروج من هنا.. يدير رأسه من كثرة الأفكار.. لترى عينيه ما لم يتوقعه.. أمامه في تلك الزاوية البعيدة.. سُلم ما.. ولكنه يبتعد عن الأرض مسافة مترين.. لذلك لم يراه وهو يعدو.. ينظر له بابتسامة أمل من جديد.. كمن وجد ضالته بعد بحث كثير.. يظل ثابتاً ليدير عم سعيد وجهه فيراه هو الآخر.. ليصدر منه صوت

الفرح.. تقترب أصوات الخطوات.. لينتبه كلاً منهما فيأخذ ياسر بيد عم سعيد ليعودا إلى الغرفة.. يدخلان الغرفة ليتأكد ياسر من غلق الباب كما كان حتى لا يشعرون بأي محاولة هروب منهم.. يلتفت الآخر ليجد عم سعيد ينظر إلى الحائط مذهولاً.. تمر لحظة حتى ينظر ياسر هو الآخر للحائط ليفتح فاه من الدهشة.. الحائط الذي رأى من خلاله ابنته مها.. ذلك الحائط الذي استطاع كسر جزء كبير منه.. عاد كما كان.. كما لو أن كل ما حدث كانت مُجرد خيالات تحدث لهم.. إنها الدهشة التي تجعلك لا تستطيع تحريك ساكناً.. مع اقتراب صوت الأقدام.. لا يزال الاثنان مندهشان معاً.. يتحول الاثنان باتجاه الباب ليفتح ببطء شديد ويدخل أحدهما.. ليطرح ضيف جديد على الحجرة أرضاً.. يخرج الاثنان مرة أخرى ليغلقا الباب خلفهما.. يسرع عم سعيد لذلك الضيف ليتحسس ما إذا كان به إصابة ما ليجده بخير.. يدير وجهه.. إنه (أحمد)

***

- علاقات هشه -

تقف سميحة في انتظار ابنتها مها في السيارة أمام باب المدرسة.. تنظر لباب المدرسة في ترقب حين تشاهد الزوجان اللذان ينتظران ابنتهما.. تعود بالزمن لتتذكر ياسر أثناء جلوسه بجانبها ينتظران خروج ابنتهما مها في أول يوم في الدراسة.. تذكر كم كانت قلقة على ابنتها ولكنه ظل يبتسم ويخبرها بأنها مُجرد مدرسة وليست سجن.. تظل تنظر له في حنان..

- مهو طبعاً مانت الأب ولازم تبقى بنتك حتة السكرة.. بكرة أجيب ولد ويبقى اقربلي منك ويحبني أنا أكتر منك برضه

= إنسي يا بنتي إذا كان مامتك اللي هي مامتك بتحبني أنا أكتر منك

- عندك حق

= ثم يا باش كاتبة انتي يا أستاذة.. غير مسموح لأي حد في الدنيا إنه يحبك أكتر مني.. لا بنتك ولا ابنك ولا مامتك.. أنا وبس.. إنتي فاهمة

- أنا ربنا عوضني بيك عن حاجات كتير

= أكيد يا بنتي مش هتلاقي زيي

تضربه نرمين بخفه في كتفه لتقول مازحة..

- كفاية غرور بقى

يبتسم ياسر لها.. ليمسك بيدها في حنان..

= صدقيني يا سميحة إنتي اللي عوض أنا مستاهلهوش وهدية كبيرة أوي من ربنا ليا

- ربنا يخليك ليا يا حبيبي.. ثم أنا مش مستغربة إن أي حد يحبك لأن أي حد هيعرفك أكيد هيحبك

تخرج سميحة من موج ذكرياتها عندما تسمع طرق على شباك السيارة لتتفاجئ بابنتها مها أمامها.. لتفتح لها باب السيارة..

- إيه يا ماما إزيك؟
= ازيك يا حبيبتي؟
- فيه حاجة ولا إيه.. بقالك كتير مش بتيجي المدرسة تاخديني!
= لا يا حبيبتي متقلقيش.. أنا يا حبيبتي بس عندي النهاردة حبة شغل كتير عشان الرواية الجديدة.. فقولت آجي أوصلك عند تيتا وأروح أنا شغلي
- آه.. أوكي
= متزعليش يا حبيبتي بس انتي عارفة إن ده شغل.. أقولك على اتفاق.. النهاردة في الويك إند هاخدك ونتفسح في أي مكان تختاريه.. اتفقنا؟
- اتفقنا
= أنا بقى جيالك مخصوص عشان فيه موضوع معين كده عايزة أكلمك فيه قبل ما نروح لتيتا
- موضوع إيه؟ حد كلمك من المدرسة ولا إيه؟
= لا يا حبيبتي مالك قلقتي كده ليه.. أنا عايزة أكلمك في الموضوع اللي حصل بتاع إنك شوفتي بابا؟
- ماله يا ماما
= أنا مش عيزاكي تقولي لتيتا أي حاجة من الحاجات دي
- ليه يا ماما.. تيتا هتصدقني على فكرة ومش هتعمل زيك
= وأنا مش عيزاكي تحكيلها عشان عارفة إنها هتصدقك
- ليه
= عشان انتي عارفة تيتا كانت بتحب ابنها اللي هو أبوكي ازاي.. وكلام زي ده هيخلي عندها أمل إنها تشوفه تاني وده مش صح لأنه مات
- بابا ممامتش بابا مختفي ومحدش عارف هو فين ومحدش بيدور
= لا مات.. أنا بقولك إنه مات
- لا مماتش وتيتا عمرها ما هتعمل زيك كده وتفضل تكدبني

= أنا مبكدبكيش أنا مش عيزاكي تتعلقي بوهم
- ده مش وهم.. والأمل شيء كويس طالما مفيش جثة.. يبقى فيه أمل إن بابا عايش وأنا هفضل متمسكة بالأمل ده لحد ما أموت
= إنتي ايه يا بنتي عايزة تجننيني.. هو أنا نقصاكي مش مكفيكي اللي احنا فيه
- انتي معلمتنيش إني أيأس وعلمتيني افضل أحارب في حاجة انا مؤمنة بيها لآخر نفس
= أيوة بس لما يكون عندك قضية أو هدف عايزة توصليله.. لكن انتي بتجرى ورا وهم وده غلط
- وانتي المفروض تبقي متمسكة بالأمل ده أكتر مني.. وانتي اللي تروحي تحكي لتيتا على اللي حصل مش أنا
=..
- عارفة ليه بابا اختار إنه يظهرلي أنا.. عشان عارف إني بحبه وعارف إني هحارب وهفضل متمسكة بالأمل ده لحد النهاية.. مش زيك
= مش زيي؟
- أيوة.. إنتي مش راضية تصدقي إنه عايش ومش عايزة تحطي الفكرة حتى في دماغك وعايشة وولا هامك
= إنتي ازاي بتكلميني كده.. إنتي نسيتي نفسك.. نسيتي إني أنا أمك؟
تصمت كلا منهما.. وتدفن سميحة وجهها بين كفيها.. بينما تشعر مها بفداحة ما قالته وفعلته منذ قليل.. تسمع بكاء أمها.. لتقترب منها معتذرة ولكن تبعدها أمها عنها.. لترفع وجهها مرة أخرى.. تنظر لها بحزن.. بينما تعيد تشغيل السيارة لتنطلق في صمت..

***

- صحافة حرة -

يدخل حسام ممسكاً بيد نرمين من الباب الرئيسي للجريدة.. لتتسارع أقدامهم اتجاه مكتب أستاذ رائف.. تختبئ وراء حسام كطفل يحتمي في أخيه الأكبر في مواجهة أمه حين يفتعل مشكلة ما.. يطرق الباب برفق.. ليسمع صوت أستاذ رائف من الداخل

- ادخل

يدخل كلاً من نرمين وحسام في بطء داخل المكتب ليتفاجأوا بوجود بثينة بالداخل.. تنظر بثينة لنرمين بغضب وكره.. بينما تحاول نرمين أن تتفهم ما يحدث بالظبط.. يشير لهما أستاذ رائف بالجلوس بينما تهم بثينة بالحديث..

= انت لسه هتقعدهم يا أستاذ رائف.. بقولك خدوا التحقيق بتاعي وإنت معودتناش على كده أبداً

* تحقيق إيه.. فيه إيه بالظبط يا أستاذ رائف أنا مش فاهمة حاجة

- فيه إن الأستاذة بثينة بتتهمك بإنك أخدتي منها التحقيق الصفحي بتاعها.. بتاع الأستاذ أحمد وبقيتي تحققي من وراها فيه

يتدخل حسام..

• معلش يا أستاذ رائف وإيه اللي يثبت كلام أستاذة بثينة

= طبعاً وهي هتلاقي مين يدافع عنها غيرك يا أستاذ أحمد ياللي آمنتك على الشغل وخليتك تهتم وتنزل صورته واسمك يتكتب جنب اسمي.. بس معلش هي غلطتي.. أنا لقيت الورقة دي يا أستاذ حسام على مكتب

الأستاذة نرمين.. ورقة فيها اسم أحمد عبد الظاهر.. اللي قبلها بشوية أستاذة نرمين دخلت تسألني على اسمه وأنا رفضت أقوله

ينظر حسام أسفل المكتب بعد كل ما قيل.. ينظر أستاذ رائف إلى نرمين منتظراً منها أن تجيب

* عندك حاجة تقوليها على الكلام ده يا نرمين؟

= يا أستاذ رائف أنا حاولت أعرف الاسم بتاعه لأن فعلا كنت بشبه عليه.. وإحساسي طلع في محله فعلاً.. طلع أخو واحد صاحبنا من أيام الجامعة.. وعشان كده جرينا ساعتها وروحنا عشان نعزيه

= يا سلام بقى وأنا عبيطة بقى عشان أصدق الكلام ده.. ولا أستاذ رائف مثلاً هيصدق الكلام ده بسهولة

يتدخل حسام..

• على فكرة هي معندهاش أي داعي في إنها تكدب

- إنت تسكت خالص..

يبدأ الشجار في التضخم فيقف أستاذ رائف ليصمت الجميع.. يقف أستاذ رائف لينظر من نافذة مكتبه متأملاً الطريق.. تمر دقائق والجميع ينظرون لبعضهم بعضاً.. ليبدأ هو في الحديث

- قوليلي يا بثينة؟

= أيوة يا ريس

- إيه كانت خطوتك الجاية في التحقيق الصحفي اللي بتتهمي زميلتك إنها سرقته وهتنسبه لنفسها؟

= يعني إيه يا ريس

ينفعل أستاذ رائف قليلاً..

- يعني كنتي ناوية تعملي ايه بعد اللي نشرتيه.. واحد ومات في حادثة ومش لاقيين جثته.. إيه خطوتك الجاية

= كنت ناوية أهتم بالموضوع أكتر

- اشرحيلي هتعملي ايه يا بثينة

= مهو يا ريس

- خطوتك الجاية ايه يا بثينة

= يا ريس

- يعني معندكيش حاجة.. ومكنتيش هتاخدي خطوة في الموضوع ده.. صح

تنظر بثينة في الأرض لتجيب على كل أسئلته بصمتها.. تعود بثينة لتتذكر شيئاً..

= بس ده برضه يا ريس مش مبرر إنها تدخل مكتبي وتاخد ورق مهم من عندي ده أنا كمان لقيت درجي مفتوح.. دي كده سرقة.. ثم مين اللي قالك إني بشيل الورق المهم في الدرج التاني

تقف نرمين..

- لا أنا مسمحلكيش إنك تتهميني اتهام زي ده.. أنا لولا فعلاً إني أعرفه يا ريس أنا مكنتش عملت حركة زي دي.. وفعلاً طلع أخو صاحبنا وممكن حسام يوريك كل المعلومات عنه حالاً.. ثم دي معلومة تافهة أي حد في الجرنان كان يعرفها.. إنتي بس اللي دايما محسسانا إن الناس كلها غيرانة منك وهتسرقك.. وبعدين أستاذ رائف هو الـ..

تنظر لأستاذ رائف لينظر لها بدوره لتتدارك فداحة ما كانت سوف تنطق به..

= ماله أستاذ رائف

- أستاذ رائف هو المدير هنا واللي شايفه يعمله

يجلس أستاذ رائف محاولاً تخفيف حدة الكلام بينهما..

- اللي عملتيه يا بثينة.. إنك اتهمتي زميلة ليكي بالسرقة وده شيء غلط طبعاً.. لكنك كنتي هتسهلي عليها الدنيا أكتر لو قولتلها الاسم وكده كده التحقيق بتاعك ومكانش حد هينشره غيرك فأيا كان كان ممكن تديها الاسم وخلاص لكنك طبعاً كعادتك احتفظتي بجانب المحقق كونان جواكي وخلتيه سر.. ياريت نتعامل مع بعض بشكل ألطف بعد كده في الجريدة لأن مينفعش يبقى فيه اتنين من أشطر الصحفيين عندي وبيتخانقو على حاجات هبلة زي كده..

تنظر له بثينة بنظرة أسف..

= طب يعني كمان الغلط عليا

يعود أستاذ رائف للتوجه لنرمين..

- لا طبعاً الغلط مش عليكي وبس.. اللي انتي عملتيه ده غلط يا نرمين وأياً كان اللي قالك إن المعلومات في درج مكتبها فهو غلطان هو كمان.. عشان كده انتي كمان مش هتنشري أي خبر يخص الموضوع ده نهائي في الجريدة..

يصمت الجميع لتبتهج أسارير بثينة وتبتسم ابتسامة خبث.. لتقف وتأذن أستاذ رائف في الخروج.. لتخرج في هدوء.. يعود أستاذ رائف للهفته الصحفية.. ليحدث نرمين، وهو يراقب خروج بثينة.

- رايحة تفضحيني.

= يا أستاذ مانا لحقت نفسي أهو.

- قوليلي بقى وصلتي لجديد.

يهم حسام بالحديث..

= أيوة يا أستا..

- اسكت إنت حسابك بعدين يابو ظروف.. احكي انتي.

= روحنا يا أستاذ رائف مكان الحادثة بتاعة أحمد وسألنا كل الناس فعلاً محدش شافه خالص بس شافوا العربية، والإزاز بتاعها مكسور مكان السواق.

- ها وبعدين.

= واحد هناك حكالنا إنه شاف حاجة زي كده من ٣ سنين واحد أثناء حادثة خطف بنت صغيرة وهرب بيها.. بس الكاميرا بتاعته جابته

- فانتي بقى شاكه إن هو نفس الشخص؟

= أيوة يا أستاذ رائف وخصوصا إن الراجل بيقول إنه بنفس المواصفات اللي قالت عليها تقى بنت مدام مريم

- مين مدام مريم دي؟

= دي مرات أحمد يا أستاذ رائف!

- ها وبعدين

= فأنا دلوقتي اتفقت إنه خلاص.. هنبلغ مدام مريم ونطلع على القسم ونعمل محضر

- طب وعرفتي إسمه؟

= أيوة يا ريس بقولك الكاميرات جابته ومسكوه وكتبوا عنها في الجرنال

- غريبة أنا مش فاكر حاجة زي كده حصلت وقريت عنها

يتدخل حسام مازحاً..

= دي من ٣ سنين يا ريس يعني تلاقيك كنت لسه شاب بقى وصحفي وبرنس كده

- برنس.. اسكت انت يا فاشل.. بقى واخد البت وهربان بيها ومبتاخدش إذن حتى.. والله أنزلك قسم المفقودين

= لا والنبي يا ريس.. حقك عليا.. يا سلام.. اخصملي الشهر كله بس والنبي خليني في قسم الحوادث ده انا بحبه

يعود أستاذ رائف إلى نرمين في حديثه..

- ودلوقتي يا أستاذة نرمين بقى إيه خطوتك الجاية

= هنبلغ يا باشا علطول

- لا يا هانم إنتي تروحي وتاخدي مدام مريم وتسألي عنه وتديهم مواصفات اللي خطفه واسمه وبعدين تبلغي

= تمام يا ريس

- طبعاً زي ما قولنا مفيش حاجة هتتكتب كده في الجرنال.. بس مفيش مانع إننا ننزل مقال تحت اسم مجهول يعني

= حلاوتك يا ريس

- بنت.. اختشي.. يلا قومي انتي والمصور الفاشل بتاعك ده وروحوا، وبلغوني الجديد.

= أوامرك يا ريس

- يلا اتفضلوا

تخرج نرمين وحسام من مكتب أستاذ رائف ليقف ويعيد تشغيل أسطوانة الأوبرا المفضلة له.. بينما يجلس على الكرسي مبتسما..

***

- لا لليأس -

يجلس ياسر في مواجهة عم سعيد ويبدأ في الحديث بصوت خافت حتى لا يسمعه أحمد..

- عم سعيد إحنا لازم نروح ناحية الباب اللي شوفناه ده.. لازم

= طب ويابني مالك موطي صوتك ليه كده وعمال بتبصله بصة غريبة كده؟ إنت تعرفه؟ افتكرت حاجة؟

- لا يا عم سعيد للأسف مفتكرتش حاجة.. بس فكر معايا كده أول ما حاولنا نهرب وخرجنا من هنا جابولنا واحد جديد وإحنا بقالنا أكتر من سبع شهور هنا ومشوفناش حد جديد؟

= قصدك إيه يابني؟

- قصدي إنه مش بعيد يكون حد هما باعتينه عشان يعرفوا بنفكر إزاي أو هنهرب إزاي ويحاولوا يوقفونا

= جاسوس يعني؟

- الله أعلم يا عم سعيد بس إحنا لازم ناخد بالنا كويس أوي

= عندك حق يابني.. طب وإزاي هنخرج من هنا من غير ما هو ياخد باله

- مش عارف..

يفيق أحمد مصدراً صوت كمن كان يغرق.. لينتفض عم سعيد وياسر من مكانهما خوفاً..

= يابني خضيتنا هو إحنا ناقصين.. متخافش متخافش..

يحاول عم سعيد الاقتراب منه في حذر لكي يطمئنه.. يعتدل أحمد في جلسته لينظر إلى ياسر كمن رأى شبح ما.. لتنتفض معه كل ذرة في جسد أحمد ويعود في جلسته للوراء.. ينظر له ياسر بخوف ليسأله...

- إنت تعرفني؟

لا يجد رد من أحمد..

- مالك بتبصلي كده ليه

مرة أخرى لا يجد رد..

- إنت أخرس؟

= شكله كده يابني

- إنت فاكر حاجة ولا زينا؟

ينظر كلاً من عم سعيد وياسر لأحمد الذي يظل ينظر لهما بكل اندهاش ولا يفتح فاه..

- إيه جايبينك هنا تتعلم لغتنا مثلاً؟ إنت متأكد إنك بني آدم؟

= تاني يابني حوار الفضائيين ده لسه راكب دماغك

- عندك شك يا عم سعيد بعد كل اللي شوفناه ده؟

= والله يابني مانا عارف أقولك إيه

يشير ياسر إلى أحمد باتجاه الطعام..

- قوم كل.. إنت أكيد مخضوض ومش مستوعب اللي بيحصل

ينهض أحمد لكي يسير باتجاه الأكل في بطء.. ينظر إلى الأكل بكل اندهاش كأنه يراه لأول مرة.. يتحسس الطعام.. يحاول أن يشتمه ولكنه لسبب ما يبتسم ابتسامة ما يلاحظها ياسر

- إيه هنكون حاطين ليك حاجة في الأكل مثلا؟ ولا إنت عارف إن الأكل نفسه فيه حاجة؟

= يابني بالهداوة بس هو أكيد مخضوض زينا.. إنت مش فاكر كنت عامل إزاي أول يوم

- مظلنش يا عم سعيد.. نظراته غريبة

لا يبدوا على أحمد أن يهتم بهما ورغم اندهاشه بلقائهما ولكنه لسبب ما لم يعد يكترث بأمرهما.. يجلس مقابل الطعام ليمسك بقطعة اللحم ويحاول مضغها.. يتوقف لينظر للطعام باشمئزاز.. يعيد قطعة اللحم لينفجر ضاحكاً..

- ده مجنون ده ولا إيه

لا يجد رد من عم سعيد أو من أحمد هذه المرة ليكمل..

- حركاتك غريبة.. ونظراتك غريبة.. وجاي في وقت غريب أنا فعلا مش مرتاحلك

يعيد أحمد النظر له وكأنه لا يهتم بما يسمعه منه.. يعيد جلسته على السرير لينام كمن ينتظر حدوث شيء ما.. يعيد ياسر الهمس لعم سعيد

- خلي بالك يا عم سعيد أنا فعلا مش متطمن للواد ده

= يابني ده شكله غلبان.. ما يمكن أخرس ومبيعرفش فعلاً يتكلم

- مظلنش يا عم سعيد مظلنش.. المهم يا عم سعيد إحنا لازم نروح دلوقتي لمكان الباب ده

= ويابني مادام بتقول إنك شاكك فيه إزاي هنروح إحنا الاتنين ونسيبه هنا

- مش عارف يا عم سعيد بس كل اللي عارفه اننا لازم نخرج من هنا

يصمت الاثنان لبرهة ليعود ياسر..

- طب أنا عندي فكرة يا عم سعيد

= قول يابني؟

- أنا هروح وأشوف السلم ده ورا ايه بالظبط وإنت خليك هنا مع الأخرس ده.. هسيبك أنا وهروح وهرجع بسرعة

= طب يابني..

- مفيش حل تاني يا عم سعيد.. إحنا لازم نعرف إحنا فين بالظبط والناس دي مين

= والله مانا عارف أقولك إيه.. روح يابني بس خلي بالك من نفسك

- حاضر متقلقش عليا يا عم سعيد.. ولو صاحبنا ده نطق سكته

ينظر له عم سعيد مندهش مما يتوقع ياسر منه أن يفعله.. ينهض ياسر ليمسك بأداته الحادة.. ليطرق الباب عدة طرقات بها حتى ينفتح.. ينظر له أحمد كمن لا يبالي.. بينما يغلق ياسر الباب خلفه ليذهب في طريقه.. ليعود عم سعيد للحديث مع أحمد..

= أصله راح الحمام وجاي

يبتسم أحمد ليغمض عينيه مرة أخرى.. على الجانب الآخر من الباب.. يمشي ياسر ببطء وحذر رغم معرفته أنه لا يوجد أحد هنا.. يبحث عن الباب مرارا ولكنه لا يجده.. ولا يجد أي أثر للسلم.. ولكنه بعد أن يدور في تلك الدائرة المغلقة أكثر من خمس مرات يراه.. تبتهج أساريره لينظر حوله في حذر.. ثم يسير ببطء أكثر اتجاه السلم.. يحاول أن يصل له ولكنه بعيدُ عنه ولا يستطيع.. يجد بروز في حديد ما يخرج من الحائط ليسند قدمه عليه.. ليتسلق ذلك السلم.. يكاد يجزم أنه شعر أن ذلك السلم مصنوع من الكهرباء بعينها.. فما كاد أن يلمس السلم حتى وقع أرضاً.. ينزع عنه قميصه ليمزقه بالمنتصف ولكي يمسك في كل يد من يداه نصف القميص.. يعود ليربط كل نصف من قميصه على يده كمن يربط على جرح ما.. يتأكد من سلامة الربط ليعود ويتسلق السلم مرة أخرى..

ولكنه كلما صعد درجة من السلم يشعر أن قواه تتضاءل ويكاد يسقط.. يعود ويذكر نفسه أنه لن يستطيع البقاء هنا أكثر من ذلك ليقاوم ويصعد درجة أخرى.. ولكنه كلما كان يصعد درجة ما يرى أن درجات السلم لا تنتهي.. فلسبب ما شعر بأن السلم ازداد طولاً فلقد كان يرى نهايته وهو على الأرض ويرى ذلك الباب في نهايته.. ولكنه ها هنا كلما نظر لأسفل يرى أنه قد اجتاز مائة درجة ويعود لينظر للأعلى ولكنه يرى مائة درجة أخرى.. يمر وقت طويل لا يعرفه تفصيلاً ولكنه لسبب ما ينتهي من السلم ليرى ذلك الباب أمامه.. ولكنه حين يصل تعتريه الخيبة والإحباط.. فلا يجد للباب مقبض كي يفتحه.. بل لا يجد ما يدل على أنه باب من الأصل.. كأنه جزء بارز من الحائط ليس إلا.. ولا يجد وسيلة لفتحها.. فليس معه حتى أداته الحادة لقد تركها في الغرفة.. يا الله ماذا أفعل.. أعبر كل هذه المسافة لكي يقف عاجزاً أمام حائط حديدي؟.. يضع يده على رأسه في حسرة.. ليجلس أرضاً بجانب الحائط.. تمر دقائق حتى يقف مرة أخرى.. لكي يبدأ في ركل الحائط بقدمه مرة وأخرى وأخرى وأخرى وأخرى.. ولكن لا يحدث تغيير.. يصرخ في وجه الحائط كأنه شخص ما يقف بينه وبين تحقيق حلمه..

- مش هتوقفني مش إنت اللي هتوقفني

يظل يركل الحائط بقدمه مرة أخرى ولكن ما من تغيير.. يبدأ في البكاء ليطرق على الحائط بيده.. يغمض عينيه ليتذكر ابنته (مها) وهي تشيح بوجهها يميناً ويساراً ليفتح عينيه فجأة ويطرق الباب بكل ما أوتي من قوة بقدمه.. ليسمع صوت كان يظن أنه لن يسمعه أبداً.. لقد انفتح الباب ولكن بمقدار بسيط جداً.. ولكنه كان يكفي لكي يجمع قواه من جديد ليعاود ركل الباب وطرقه.. لينفتح الباب له على مصراعيه.. ليخرج من

الباب ذلك الضوء الهائل كضوء ألف شمس بجانب بعضهما البعض.. يحاول أن يغطي عينيه من ذلك الضوء ويدلف للداخل ببطء.. تمر دقائق حتى تعتاد عينيه على ذلك الضوء.. ليفتح عينيه ويرى هؤلاء البشر في كل مكان هنا.. ولكنهم يرتدون نفس اللون الأبيض وجميعهم ذات شعر أصفر.. يمرون بجانبه وكأنهم لا يبالون بوجوده وسطهم.. مكان مضيء وليس به أي شيء.. تراهم يسيرون يميناً ويساراً.. إنهم فضائيين حتماً ولكنهم شبه البشر.. هذا ما يخطر بباله للحظات.. يبدأ في التقدم للأمام لا يرى شيء.. ليس هناك باب آخر.. أو مخرج ما من هذا المكان.. لا يعرف كيف يهبطون أو يصعدون بدون سلم.. يرى بعضهم فوقاً منه يسيرون وكأنهم يصعدون سلم.. وهناك من يهبطون لأسفل.. ولكنه يترك كل هذا حينما ترى عينيه ذلك الشخص الهادئ الساكن في الزاوية.. فهو يحمل في يديه كتاب ما وقلم.. لا تمر لحظة قبل أن يدون شيء ما ليعود وينظر في الفراغ ويدون شيء آخر.. يقترب منه بحذر.. يقتله فضوله لكي يعرف ماذا يسجل في ذلك الكتاب.. يظهر شخصاً منهم أمامه...

- ماذا أتى بك إلى هنا يا رجل.. لم يحن وقتك بعد

= لكن..

- لقد قلت لك.. لم يحن وقتك بعد

يضرب الرجل ياسر بيده ليلقيه خارج الغرفة ليسقط من أعلى السلم.. يحاول التمسك بشيء ما ولكنه لا يستطيع يظل يهوى ويهوى كأن الأرض قد زالت.. تمر دقائق حتى يشعر بارتطام جسده بالأرض.. ليسكن جسده في هدوء

***

- حائط سد -

تمسك نرمين بيد مدام مريم ليتبعهما حسام في سرعة.. يدخلان قسم المباحث ليسألا عن الضابط المسئول ليشير لهم العسكري باتجاه مكتبه.. يسيران باتجاه المكتب تطرق نرمين الباب برفق ثم تفتح الباب ليدخل جميعهم بالداخل.. يدخل جميعهم ليجدوا سيادة النقيب محمود ينظر لهم في حيرة.. شاب هادئ.. في الثلاثين من عمره.. يبدو هادئ الطباع.. لابد أنه يجيد عمله حتى يصل لتلك الرتبة في ذلك السن الصغير.. تبدأ نرمين في الحديث..

- مساء الخير

= مساء النور، إيه حادثة سرقة ولا إيه؟

- لا يافندم مش سرقة..

= معلش أصل دخلتكم عليا كده.. بتفكرني بناس كتير مسروقين وجايين مخضوضين

- لا يافندم.. أنا نرمين الصباحي وده حسام.. صحفيين في جريدة الأهرام..

= أهلاً وسهلاً بحضراتكم.. تحقيق صحفي يعني.. طب ومين الأستاذة متعرفناش؟

- دي مدام مريم.. وهي دي اللي جايين عشانها النهاردة إحنا جايين عشان نبلغ في اشتباه في خطف

= اشتباه في خطف إزاي حضراتكم.. مهو يا خطف يا لا

ترتبك نرمين.. لتكمل مدام مريم

- بُص يافندم أنا وجوزي عملنا حادثة من كام شهر.. بس للأسف ملقيناش جثته.. وطبعاً المباحث فضلت تدور ٣ أيام ولأن الموضوع مكلف ومتعب وقفوا البحث.. وأستاذة نرمين لما راحت لمكان الحادث اكتشفت إن فيه حالة خطف حصلت قبل كده في نفس التاريخ في نفس المكان بس كان لطفلة صغيرة

= وحضرتك بتشكي إن ده نفس الشخص عشان مُجرد نفس التاريخ؟

- يافندم إحنا مش مجانين.. إحنا بنتعلق بأي أمل

يتدارك محمود الأمر سريعا..

= الأمل ملهوش علاقة بالأوهام يافندم.. حضرتك يافندم عملتي حادثة وباين عليها كانت صعبة من الآثار اللي على وشك.. مفيش أي عقل بيقول إن مجرد إنه حصل حالة في يوم شبه يوم حضرتك أو نفس تاريخ حادثة حضرتك يبقى خلاص.. بعد إذنكم أنا لازم أقوم أشوف شغلي..

ينهض محمود ليمشي مسرعاً نحو الباب لكن تصرخ مريم حينها..

- بس بنتي شافتهم

= شافت مين؟

- شافت الناس اللي خطفوا أحمد جوزي

= ومبلغتيش ليه بالكلام ده

- لأني كنت فكراها مصدومة أو عندها صدمة بسبب الحادث

= وهو ده الراجح طبعاً لأن كلام الطفلة مش هيعتد بيه أمام المتهم

- بس دي نفس مواصفات اللي خطف الطفلة الصغيرة.

= إيه هي المواصفات بالظبط...

يهم حسام بالحديث..

- كانت سيادتك بتقول إنه طويل وشعره أصفر.. والحادثة يافندم اللي حصلت بتقول إن جعفر عبد التواب عنده نفس الشكل..

= جعفر وشعره أصفر؟؟

- يافندم أنا مصور الجرنان كمان اللي نزلت فيه الحادثة دي..

يخرج حسام هاتفه لكي يستطيع محمود مشاهدة الصور.. حينها تهم نرمين بالحديث..

- يافندم إحنا مش جايين نعمل سبق صحفي ولا جايين نعمل شو وخلاص.. إحنا بندور على الحقيقة وعايزين حضرتك تساعدنا في إننا نلاقيها

ينظر محمود لثلاثتهم نظرة تعجب.. يمسك بهاتف المكتب لكي يضغط بعض الأرقام.. يبدأ في الحديث

- أيوة يابني.. هاتلي كل المعلومات عن واحد اسمه جعفر عبد التواب.. كان مسجون عندنا من فترة.. شعره أصفر، وطويل حبتين.. بسرعة

ينهي محمود المكالمة.. لكي ينظر لمريم..

- مدام مريم أنا مش عايزك تحطي أي أمل في المواضيع دي.. لأن الأمل هنا دايما بيتحول للعكس وصاحبه ساعتها هو اللي بيتضر.. لازم تحطي في حسبانك إن اللي شافته بنت حضرتك ده ممكن يكون تهيؤات زي ما قولتي صدمة بعد الحادثة، وإنه فعلا ممكن يكون جوز حضرتك ميت دلوقتي.. وبتحصل كتير إن ناس بتموت ومش بنلاقي جثتها وخصوصاً في الحوادث.

= أنا عارفة اللي حضرتك بتقوله بس..

- مفيش بس يا مدام مريم.. أنا هساعدكم المرة دي وبس.. بس لو سمحتوا بعد ما نعرف عنه المعلومات ياريت تقفلوا الصفحة دي نهائي

تصمت مريم لتنظر في الأرض.. تتدخل نرمين..
- حاضر يافندم
بعد لحظات يسمعون طرق على الباب ليدخل العسكري ليضع ملف أمام النقيب محمود..
- الضابط هاني باعتلك الملف ده يافندم
= طب روح إنت.
يخرج العسكري ليغلق الباب خلفه.. ينظر محمود إلى الملف بعمق.. عيناه تذهب يميناً ويساراً مع أسطر ما كتب أمامه.. ينهي قراءته.. ليغلق الملف وينظر لهم
- زي ما قولت لحضراتكم.. أستاذ أحمد أكيد توفاه الله.. ربنا يرحمه
تبكي مريم كمن تسمع الخبر لأول مرة.. تحتضنها نرمين.. ليتحدث حسام..
= هو حضرتك إيه المكتوب في الملف بالظبط خلاك متأكد كده إنه مات؟
- لأن المواصفات اللي بتقولوا عليها وبتنطبق على جعفر.. جعفر نفسه كان متنكر بيها عشان ميتعرفش.. ده غير إن جعفر نفسه مات في السجن.. المساجين اتجمعوا عليه في خناقة وقتلوه.. يعني مستحيل يعمل كده وهو ميت
يصمت حسام لتتدخل نرمين..
= يعني يافندم مينفعش يكون حد تاني عمل نفس الحكاية
- لا يافندم.. لأن الحادثة اللي حضرتك بتتكلمي عليها حصلت مرة واحدة.. ده غير إن البنت اللي اتخطفت دي كانت تبقى بنت المليونير حماده رستم وأكيد كان ناوي يطلب فدية.. يعني موضوع الحادثة بنسبة كبيرة كان مدبر.. لكن تقدري تقوليلي اللي هيخطف أستاذ أحمد هيخطفه ليه..

وبعدين باين من كلام أستاذة مريم إنه حادث مروري عادي مش مدبر ولا حاجة.. أظن أنا كده عملت اللي عليا.. بعد إذنكم

يخرج محمود من الباب ليتركه مفتوحاً أملاً في خروجهم من مكتبه في أسرع وقت.. ينهضوا جميعاً ليخرجوا من المكتب وتستند مريم على كتف نرمين.. بينما يسير حسام خلفهم ببطء.. يبدأون في الخروج من القسم لتمسك مريم بيد نرمين..

- أنا متشكرة يا نرمين.. معلش أنا عايزة ابقى لوحدي

= طب يا مدام مريم مينفعش نسيبك في الحالة دي كده

- أنا كويسة.. أنا بس عايزة ابقى لوحدي لو سمحتوا

= اللي تشوفيه يا مريم..

- مع السلامة يا جماعة

تنطلق مريم بسيارتها مسرعة.. بينما ينظر حسام إلى نرمين..

- مش قولتلك من الأول بلاش نديها أمل

= أنا عارفة بقى أهو اللي حصل

- بقولك إيه بما إننا هنكتب عن الجثث اللي مش لاقيينها وكده.. فاكرة الكاتبة اللي اسمها سميحة درغام.. بتاعة كتاب الكواليس

= فكراها طبعاً.. ده أنا ياما قريت الكتاب ده

- أهو يا ستي الكاتبة دي برضه جوزها مات ومكانوش لاقيين جثته..

= ده بجد؟

- جد الجد كمان.. ما تيجي أعزمك على غدوه حلوة ونروحلها بقى

= لا مدام فيها غداء يلا بينا طبعاً

يحتضن حسام نرمين ليسيرا معاً في تناغم..

***

- روح باقية -

تطرق الباب مها لتفتح لها الباب زينب..

- هاي زينب إزيك؟

= إزيك يا ست مها

يأتي صوت من الداخل..

- مين يا زينب

= دي ست مها يا ستي

تعود زينب للمطبخ.. بينما تدخل مها إلى جدتها..

- حبيبتي حبيبتي حبيبتي.. وحشتيني، وحشتيني

= وانتي كمان يا تيتا وحشتيني أوي

- يا بكاشه.. وحشتك ومتجيش حتى تسألي عليا

= مانتي عارفة بقى يا تيتا المذاكرة والدروس وكده.. أنا أصلاً ما بصدق أجيلك عشان أنسى المذاكرة والهم ده

- بلا مذاكرة بلا هم.. يعني هما اللي نجحو خدوا إيه.. إنتي النهاردة تقعدي معايا وتنسي كل حاجة بقى

= ماشي كلامك

- قوليلي مامتك مزعلاكي ولا حاجة

تصمت مها لتفهم الحاجة عائشة أن هناك شيء ما يزعجها.. لتحتضنها حضناً دافئاً.. كانت الحاجة عائشة كمثل كل ربات البيوت هادئة الطباع.. تكفيك نظرة واحدة لتعرف أنها قد مرت بالكثير ولكنها اجتازته.. طيبة القلب.. لا تخشى في الحق لومة لائم.. تجيد التصرف جيداً في الأزمات..

كانت دائماً تعرف ما يُقال لتلطيف الأجواء.. أحسنت تربية ياسر ومن بعده تعيد الأجواء في تربية ابنته مها.. كانت الشيء الوحيد الباقي لها من ياسر كانت تخشى عليها كثيراً وتحبها حباً جماً.. لذلك دائماً ما اشتد الصراع بينها وبين أمها في تربية مها.. الصراع الذي دائماً ما ينتهي في صالح مها والأفضل لها.. تبدأ مها في الحديث.

- تيتا أنا شوفت حاجة وماما قالتلي مقولكيش

= حاجة إيه يا حبيبتي؟

لتصمت مها..

= طب مش إحنا صحاب وأنا تيتا حبيبتك؟

- أكيد طبعاً يا تيتا

= طب إيه رأيك تحكيلى.. ومش هقول لماما

- أنا مش خايفة تقولي لماما ولا لأ... أنا خايفة عليكي إنتي

= خايفة عليا؟ ليه يا بنتي انتي شوفتي حلم أنا فيه ولا حاجة

- لا يا تيتا

تصمت لبرهة لتنظر في الفراغ.. ثم تهمس..

= يبقى أكيد بخصوص بابا

- أنا شوفته يا تيتا

= بتقولي ايه؟

- شوفته يا تيتا كان بينادي عليا.. شوفته وكنت هكلمه بس لقيته اختفى

= بسم الله الرحمن الرحيم.. انتي متأكدة يا بنتي

- أيوة والله يا تيتا متأكدة.. انتي مصدقاني صح؟

= مصدقاكي يا حبيبتي طبعاً مصدقاكي

تحتضن الحاجة عائشة حفيدتها مها... لتبدأ في الحديث مرة أخرى..

= عارفة يا مها بما إنك قولتيلي على سر.. أنا كمان هقولك على سر.. انا كمان بشوف باباكي.. وبشوفه كتير كمان.. وبفضل أتكلم معاه وأحكيله

- وبيرد عليكي يا تيتا؟

= طبعاً بيرد.. وبيكلمني ويحكيلي

- ياه يا تيتا يا بختك.. أنا سمعت صوته بس فرحت.. انتي كمان بتكلميه

= بكلمه دايما يا حبيبتي..

- يعني فعلاً ممكن يكون بابا لسه عايش؟

= باباكي عايش جوانا يا مها وهيفضل عايش.. وأول ما يوحشك بس غمضي عينك وشوفيه واتكلمي معاه واحكيله كل اللي مضايقك.. باباكي دايما هيفضل موجود جواكي وجوايا وجوا كل الناس اللي بتحبه

- أمال يا تيتا ليه ماما مصدقتنيش.. وليه كانت خايفة أحكيلك عشان متتعلقيش بأمل دايب

= مامتك خايفة عليكي يا حبيبتي.. روح باباكي لسه تايهة.. عشان ملقيناش جثته لحد دلوقتي مش عارف يرتاح.. متعلقة ما بين هنا وهناك.. لكن مسيره يرتاح

- يعني أنا مغلطتش إني حكيتلك؟

= لا طبعا يا حبيبتي مغلطتيش..

تسرح الحاجة عائشة في ابنها وفي روحه التائهة.. ليثير تساؤل مها كم الأسئلة التي طالما كانت تخاف من مواجهتها.. هل حقاً ياسر لا يزال حي؟ وإذا كان كذلك فأين هو؟؟.. أحقاً هناك أمل أم إنه قد رحل وما يحدث مُجرد أوهام وآمال كاذبة..

***

- رحيل صديق -

ينهض ياسر فزعاً ليفاجئ بوجود عم سعيد أمامه..

= اهدا يابني اهدا

- أنا إزاي جيت هنا.. أنا إزاي عايش أصلا..

يتحسس ياسر نفسه ليشعر بكم الآلام التي في جسده كمن كان يُضرب من عدة أشخاص في آن واحد..

= إيه اللي حصل يابني.. أنا فجأة لقيتك نايم مكانك كده.. ولا الباب فتح ولا قفل.. إنت شوفت ايه بالظبط

يجلس ياسر بجانب عم سعيد ويسند على الحائط.. يرفع قدم على الكرسي لينزل الأخرى.. بينما يسند بيده على قدمه..

- أنا مبقتش عارف يا عم سعيد اللي انا شوفته ده خيال ولا حقيقة.. الأول أخينا ده اتكلم

= أهو ع الحال ده من ساعة ما سبتنا.. نايم، وولا بياكل ولا بيشرب وكأنه مستني حاجة معينة تحصل.. كل شوية يفتح عين، يطمن اني موجود ويقفلها.. سيبك منه يابني واحكيلي ايه اللي حصل؟

- مشيت يا عم سعيد وقعدت أدور على السلم قد كده.. لفيت الدايرة دي ييجي سبع مرات، لكن برضه مكانش فيه فايدة وملقتهاش.. وفي الآخر بعد ما كنت قربت ايأس لقيتها.. وبصعوبة طلعت عرفت أوصل للسلم.. السلم يا عم سعيد مكانش زي أي سلم.. سلم كله متكهرب.. وكل ما بطلع درجة فيه السلم درجاته بتزيد لدرجة إني حسيت إني عمري ما هوصل.. أنا حتى مش عارف ازاي لسه القميص زي ما هو لأني واثق إني قطعته

عشان أعرف أطلع السلم.. أكيد هما اللي لبسوني واحد زيه.. عايزين يجننونا يا عم سعيد.. عايزين يخلوني مقولش اللي شوفته.

= إيه اللي شوفته يابني بس؟

- بعد ما وصلت، وفتحت الباب.. شوفتهم يا عم سعيد.. كلهم لابسين أبيض في أبيض، وكلهم شعرهم أصفر، وبيطلعو، وبينزلوا.. فضائيين يا عم سعيد أنا واثق.. بيعملو حاجة غريبة.. وفيهم واحد كان عمال يكتب في كتاب حبة حاجات.. مفهمتهاش.. روحت عشان أسأله.. لكن واحد منهم ظهر.. وكان صوته تحسه ألف واحد بيتكلمو مع بعض.. وقالي وقتك لسه مجاش، ورماني يا عم سعيد برا الأوضة خالص وصحيت لقيت نفسي هنا.

يبتسم عم سعيد ابتسامة خفيفة، ويلاحظها ياسر..

- بقى أنا بحكيلك كل ده عشان تضحكلي.. إحنا مخطوفين من فضائيين يا عم سعيد.

= لسه مصدق يابني إنهم فضائيين؟

- ده أنا اتأكدت!

= واضح إنك كنت شغال برا بتاع قصص خيالية.. يابني مفيش الكلام ده.. أنا دلوقتي اتأكدت من اللي كان بيدور في دماغي، وعمال أكدبه.

- هو إيه يا عم سعيد اللي اتأكدت منه؟

= يابني دي نهاية المشوار.

- نهاية مشوار إيه.. لا يا عم سعيد أنا مش هستسلم، وهخرج من هنا يعيد عم سعيد الابتسامة..

- متجننيش.. إنت بتضحك على ايه انت كمان.. يكونش الراجل ده عمل معاك حاجة.

= يابني راجل إيه، وعمل ايه بس.. إنت اللي رافض تصدق.

- أصدق إيه.. إنت بدأت تخرف، ولا إيه يا عم سعيد.

= ياريت يابني كانت تخاريف كنا خلصنا.. لكن الحكاية خلاص خلصت.

- قصدك إيه يا عم سعيد بكلامك ده ما تفهمني.

= بُص حواليك يابني، وانت تعرف كويس.. تعرف إحنا ليه محطوطين في دايرة مقفولة.. تفهم ليه الناس قلتلك وقتك مش دلوقتي، ولسه عليك شوية.

- مش فاهم حاجة يا عم سعيد.

= يابني إحنا..

يقف عم سعيد لينير، وجهه، وتضاء الغرفة بأكملها.. يعرف ياسر هذا الموقف لقد عاشه من قبل مع باسم.. ينهض أحمد لينبهر بما يرى.. لا يعرف ياسر كيف يتصرف.. إنه صديقه الوحيد الآن.. لن يتركهم يأخذوه حتما..

- لا.. لا يا عم سعيد مش هسمحلهم ياخدوك إنت كمان.. أبداً

ينقض ياسر على عم سعيد ليحاول إمساكه، ولكن قوة غريبة تصدر منه لتطرح ياسر أرضاً.. يظل ياسر على الأرض بينما يتابع عم سعيد بعيناه.. ينظر له عم سعيد ويبتسم ابتسامة كمن وجد الراحة أخيراً.. يشير له بالبقاء مكانه.. يتحرك عم سعيد اتجاه الباب ليفتح على مصراعيه.. ويخرج منه عم سعيد ليغلق من جديد بينما يترك أحمد وياسر في ذهول..

***

- ذهب ولن يعود -

يدخل حسام ونرمين ذلك المكتب المتواضع في حي الدقي.. مكتب هادئ تستطيع أن ترى عدد من الكراسي الموضوعة بانتظام.. لا تكاد تراهم آمال السكرتيرة حتى تبتسم لهم..

- مساء الخير

= مساء النور يافندم

- إحنا كنا جايين النهاردة عشان نقابل أستاذة سميحة لو سمحتي

= طب فيه ميعاد سابق

- لا مفيش ميعاد سابق والله.. بس إحنا صحفيين وكنا بنكتب تقرير صحفي عن..

= طب لحظة واحدة يافندم

تضغط زراً آمال على الهاتف لتبدأ في الحديث..

- أيوة يا أستاذة سميحة.. فيه اتنين صحفيين هنا عايزين يقابلوا حضرتك.. مش عارفة يافندم بخصوص ايه..

تنظر آمال لهم مجدداً..

الأسماء يافندم من فضلكم..

تبدأ نرمين في الحديث...

= نرمين وحسام.. ومفيش سابق معرفة

تعود آمال للتحدث في الهاتف.. أ / نرمين وأ / حسام.. وبيقولوا مفيش سابق معرفة.. طب تمام..

- اتفضلوا ارتاحوا ودقيقتين وهتبقى معاكم

= تمام شكراً

يسيران نحو الكراسي الموضوعة ليجلس الاثنان.. ينظران لبعضهما البعض في حب.. بينما تلمع عين نرمين حين ترى رواية الكواليس موضوعة على أحد الأرفف

- إلحق الرواية أهيه

= يا ستي مانتي بتقولي قرتيها ١٠٠٠ مرة.. مبتزهقيش

- لا دي حلوة أوي بجد

تقطع آمال حديثهما بجملة واحدة..

- اتفضلوا مدام سميحة في انتظاركم..

يسير الاثنان ليطرقا الباب برفق.. ثم يدخلان بهدوء داخل حجرة مكتب سميحة.. تنظر لهما بتعجب تحاول معرفة إذا كانا قد التقيا سابقاً.. تشير لهما بالجلوس ليجلسا معاً في خجل.. ليتشجع حسام ويبدأ الحديث..

= مساء الخير أستاذة سميحة

- مساء النور، أ / حسام صح؟

= آه يافندم صح

- خير، آمال قالتلي إنكم صحفيين؟

تبدأ حينها نرمين في التحدث..

= إحنا يافندم مش جايين بشكل رسمي ولا عشان نعمل تحقيق صحفي.. إحنا كنا بنحقق في قضية معينة وكنا حابين إنك..

تصمت نرمين ليكمل الحديث حسام

= كنا عايزين حضرتك تساعدينا ناخد بعض المعلومات.. عن جوزك دكتور ياسر

تندهش سميحة مما يُقال.. لتعتدل في جلستها وتنظر لهم في اندهاش..

- ماله جوزي دكتور ياسر.. الله يرحمه

تعيد نرمين ترتيب حديثها في عقلها قبل أن تنطق..

= ملهوش يافندم.. حضرتك إحنا عرفنا إن لحد دلوقتي محدش لقى جثته.. فهل عندك شك إنه ممكن يبقى حي أو ممكن يبقى مخطوف مثلاً.

تضحك سميحة ضحكة خفيفة لتستند بيدها على مكتبها، وتنظر لهم نظرة ساخرة..

- مخطوف؟

لتنظر لها نرمين في عينيها..

= آه يافندم.. إحنا من كام يوم قابلنا حالة زي بتاعة حضرتك، ومكانوش لاقيين الجثة، وبنته ادتلنا بيانات الناس اللي شافتهم بيشيلوه.

- وده إيه علاقته بياسر الله يرحمه.

= إحنا يافندم كنا عايزين نعرف.. هل حد فيكم شافه وقت الحادثة أو هل حد كان موجود ولاحظ حاجة غريبة.. ما يمكن يافندم فيه أمل إنه يكون لسه عايش؟ دي حاجة المفروض تبسط حضرتك؟

- لا للأسف مفيش أمل.. تقولها بحسرة

لتهاجمها نرمين..

= هو أنا ليه حاسة إن حضرتك مش عايزة تفتحي الموضوع.

- أولاً مش من حق حضرتك تيجي تتكلمي معايا في موضوع زي ده من غير مواعيد.. وكمان عايزة تاخدي معلومات وبتوجهيلي اتهامات، كأني مثلاً ما صدقت إنه مات عشان بس تعملي تحقيق صحفي ويقولولك برافو..

تدرك نرمين مدى اندفاعها لتعود وتعتذر..

= أنا آسفة يا أستاذة سميحة مكانش قصدي.. أنا بس..

تقاطعها سميحة..

= أنا عارفة قصدك إيه، وعارفة إنك قاصدة خير..

يصمت الجميع لتقف سميحة، وتدور حول كرسيها، وتضع يدها عليه..

- أنا شغالة كاتبة روايات.. يعني الخيال ده لعبتي.. لو كان فيه مساحة من الخيال تسمح بوجوده صدقيني أكيد كنت هستغلها.. كنت خليت بنتي تصدق إنها فعلا شافته.. كنت قومت الدنيا كلها عشان يلاقوه لو حي.. أنا كنت معاه وقت الحادثة.. كنا في العربية، وكنا راجعين من السخنة.. عربية خبطت عربيتنا، وخلت عربيتنا تلف خمس لفات.. قبل ما ياسر يصرخ، ويقولي نطي من العربية.. شوفت بعيني ضهر ياسر وحديدة كبيرة بتدخل جواه.. وعن معلوماتي البسيطة عن الطب.. مظنش أبداً إنه كان هيطلع منها سليم.. ويمكن كان زماني معاه دلوقتي لو منطتش من العربية.. عشان كده يا أستاذة نرمين مفيش مجال للشك.. دكتور ياسر جوزي الله يرحمه مات.. ومسألة إنهم يلاقوا جثته مسألة وقت مش أكتر..

يعم الصمت المكان.. تنظر لها نرمين، وعيناها تدمع.

- أنا آسفة إني فكرتك بحاجة زي كده.

= صدقيني محصلش حاجة.. كده كده عمري ما بنساها.

يعتذر حسام منها.. ليمسك بيد نرمين، ويتركان سميحة غارقة في بحر أفكارها.. كم هو مؤلم الحنين لأشخاص لم يعد بإمكانك رؤيتهم، ويبقون عالقين بذاكرتك فقط.. تخرج نرمين وهي تدرك ما سوف تكتبه في مقالها القادم..

***

- خروج -

يجلس ياسر حزيناً لفراق عم سعيد المكان.. ولكنه ما يلبث حتى يمسك بأداته الحادة ليبدأ في الطرق على الحائط مرة أخرى، وأخرى، وأخرى، وأخرى، وأخرى حتى يكل من التعب..

- إنت يا أخينا.. تعالى امسك الحديدة دي واضرب معايا

يفتح أحمد عينه لينظر له بتعجب كأنه لم يكن يوجه له الحديث..

- إنت لسه هتعمل أخرس.. قوم بقولك إمسك الحديدة، واخبط معايا على الحيطة..

= عشان؟

يفاجئ ياسر من كلمات أحمد الأولى..

- ما إنت طلعت بتعرف تتكلم أهو.. آمال إيه جو الصمت اللي انت عايشة علينا ده.

= وإيه لازمة الكلام؟

- نتفاهم.. نعرف إنت مين؟ وجاي ليه؟ وجابوك منين؟

= هتفرق؟

- طبعاً هتفرق

= معاك لوحدك.. لكن مش معايا.. مظنش إن فيه حاجة بقت هتفرق يا أستاذ ياسر.

- وكمان عرفت اسمي... سمعته من عم سعيد طبعاً

= صدقني أنا أعرفه قبل ما أجي هنا بكتير

- إنت بتقول إيه؟؟ إنت تعرفني أنا؟؟ إنت فاكر حاجة؟

= للأسف.. أنا فاكر كل حاجة

يهجم عليه ياسر ليمسكه من عنقه..
- إيه باعتينك هنا عشان تجنني إنت كمان.. باعتينك عشان تعرف عني إيه؟
= ابعد ايدك.. وبطل جنان وبص حواليك.. مفيش حد هنا غيري أنا وإنت، ويا عالم فيه كام أوضة زي دي
- قصدك ايه؟
= قصدي إن الحقيقة قدام عينيك، وإنت مش عايز تصدق؟
- حقيقة إيه؟
= إحنا ميتين.
يُصدم ياسر من ما يسمعه لبعض الوقت.. لكنه يعود ليضحك...
- دي بقى كدبة جديدة من بتوعكم
يعود ياسر للطرق على الحائط..
= ليك حق متصدقش.. أنا كمان مكنتش مصدق لحد ما شوفتك.. أول ما دخلت المكان وشوفتك قدامي.. دكتور ياسر.. أنا كنت واحد من المرضى بتوعك.. حضرتك اتوفيت من ٨ شهور قبل ما اجي أنا هنا.. قريت عن حادثتك في الجرنال وزعلت جداً.. ولما جيت وشوفتك قدامي كل حاجة رجعتلي.. افتكرت الحادثة بتاعتي على الطريق.. افتكرت المياه اللي وقعت فيها، وإحساس الغرق.. افتكرت الوقت اللي عدى ما بين احساس الغرق، وإني فجأة بلاقي نفسي متشال على سرير.
- إنت أكيد مجنون..
= عارف إنك مش مصدقني.. بس عمرك سألت نفسك ليه الأكل ملهوش طعم، ولا العصير.. ليه مهما حاولت تهرب من هنا مبتعرفش... والناس اللي لابسين أبيض في أبيض، وشعرهم أصفر، وطوال جداً.. هل دول كلهم بشر عاديين.

- أيوة بس..

= مفيش بس يا دكتور.. إحنا أرواح محبوسة هنا.

- محبوسة ليه؟

= والله يا دكتور أنا معنديش تفسير منطقي أقولهولك غير إننا في مرحلة انتظار.. كنت قريت عنك إنهم مش لاقيين جثتك.. يمكن أنا كمان ملقيوش جثتي فعشان كده لسه مستنيين هنا.. متعلقين بين السما والأرض.. مش لاقيين مخرج لسه.

- لا لا.. دي أكيد تخاريف.

= أنا عارف إنها حاجة متتصدقش.. شيء مش طبيعي.. وعشان إنت بتقوم هنا ناسي كل حاجة بيعاملوك، كأنك لسه ليك جسد.. بيدولك أكل وشرب، ويحسسوك إنك لسه في الأرض..

- مستحيل.

= لسه مش مصدق.... كنت بتحكي لعم سعيد عن بنتك.. إنت شوفتها عشان انت لسه متعلق في الأرض، وهي شافتك عشان بس هي نفسها تشوفك.. إنت روح.. ويمكن دي الأوضة الوحيدة اللي تعرف تحبسنا..

يصمت ياسر من هول ما يسمعه..

= ولو مش مصدقني لسه.. إخلع قميصك يا دكتور، وحط إيدك في ضهرك وهتعرف.

ينزع ياسر عنه قميصه ليتحسس ظهره ليجد ذلك الثقب الهائل المليء بالدماء.. يبتسم ياسر، وينير وجهه..لتضاء الغرفة بنور شاسع.. يعرف أحمد ما يحدث.. يبتعد ليترك له الطريق.. يعود ليجلس في زاوية في الغرفة.. ينظر له ياسر ليشكره.. يقف على باب الغرفة.. ليفتح له الباب يخرج ياسر ليغلق الباب خلفه.. بينما يجلس في صمت يبكي..

***

- نظرة أمل -

الكثير منا قد فقد بعضاً من أحباءه.. ربما كان أخاً أو أختاً أو جداً أو أباً أو أماً.. أو ربما كان صديق ما.. ولكن جميعنا نحاول أن نراهم في أشخاصنا المقربين.. فلكلاً منا طريقته في التعامل مع الفقدان.. كثيراً ما نسمح لأنفسنا بأن نطلق العنان لخيالنا ليتحدث معهم أو يراهم.. ولكن هل هذا جنون؟.. كثيراً ما نتهم من حولنا بالجنون لتمسكهم بمن رحلوا ولا ندري بماهية شعورهم.. فالحياة لا تبدوا كما كانت منذ رحيلهم.. ولكن هل من يرحلون عنا يرحلون حقاً!.. أم تظل أرواحهم تصاحبنا لتنير لنا الطريق في هذه الحياة القاسية.. كثيراً ما يتعلق منا الكثير باللذين رحلوا حتى أنه قد ينسى أنه على قيد الحياة.. كثيراً ما نطالب برؤيتهم بعد رحيلهم، وقد نظن أن ما حدث كان نوع من أنواع الظلم.. لكن هل نعرف نحن حقاً ما بعد الموت؟ فالكثير منا لا يدري ما هو معنى الحياة فكيف بالأحرى نعرف ما هو الموت.. ليرقدوا أمواتنا في سلام، ولينعم كلاً منا بحياته الخاصة، وليتمسك كل منا بأحبائه قدر الإمكان.. فالحياة قصيرة جداً، ندعو الله أن نجد من يتمسك بأرواحنا بعد رحيلنا..

بقلم نرمين الصباحي

تعيد نرمين قراءة المقال مرة تلو الأخرى.. حتى ترى عينيها ذلك الخبر بالأسفل.. العثور على جثة دكتور ياسر بعد مرور ٩ شهور من اختفاءه.. ويظن الأطباء أن الموت قد حدث أثناء الحادث... إلخ

***

مزاج الكتب
للنشر والتوزيع

ج.م.ع

Email: mazagelkotob@gmail.com

Mobile: 01024541339